علم المناسبة منطلقاته
أهميته وموقف العلماء منه

د. أحمد فريد صالح أبو هزيم(*)

(*) أستاذ مشارك بكلية الشريعة – الجامعة الأردنية.

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بعلم المناسبة، وبيان ارتباط سور القرآن الكريم بعضها ببعض، وأنها جاءت متسقة المعاني منتظمة المباني، لذا كان موضع عناية وتقدير لدى كبار العلماء من باحثين ومفسرين قديماً وحديثاً، لإدراكهم ما له من أثر فعال في توضيح كلام الله تعالى.

كما أن الوقوف على علم المناسبة في كتاب الله تعالى يوصل إلى سر من أسرار بلاغته، حيث قوة الترابط والاتصال، والتآخي بين ألفاظه ومعانيه لا في آية دون آية، ولا سورة دون سورة، على اختلاف المعاني، وتباين الأغراض، كأنه قطعة واحدة، كالبناء المحكم مع أنه نزل منجما، وهذا من الإعجاز البياني الذي يدل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، وغير ذلك من الأغراض النبيلة.

ويبين كذلك أن إدراك المناسبات في السور القرآنية وسائر آياتها أمر مهم لمن أراد أن يلقي الضوء على محور السور ومقاصدها.

ويتناول هذا البحث موقف العلماء المنكرين المناسبة، والرد عليهم بما وضعه العلماء من منهجية علمية سديدة، وبيان القول الحق إزاء هذه القضية المختلف فيها.

كما يلقي هذا البحث الضوء على نماذج تطبيقية لعلم المناسبة بين أجزاء الآية، والآيات في السورة الواحدة، ومناسبة السورة بالسورة وغيرها من أنواع المناسبات.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين الذي منحنا كتابا سماوياً محكماً، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث إلى الناس كافة، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فمما هو مقرر لدى العلماء: أن القرآن الكريم يحمل طابعاً مميزاً لا يلتبس معه غيره، ولا يجعل لطامع يطمع أن يدور حول حماه.فقد اشتمل على الحق الذي لا خداع فيه، فمنذ لحظة نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وقرعه أسماع العرب، قد أخذ القوم بإحكام أسلوبه، وبعذوبة بديع نسجه، وكمال اتساقه، يتجلى بتلك الحروف ورصفها، والآيات وترتيب أوضاعها فيما بينها، والسور وتأليفها، ينظر إليه حيث الموضوعات مختلفة، والظروف متفاوتة، فيرى نظام تأليفه البياني بين سوره، وآياته بنسج محكم ما هو جدير بالإعجاب والإعجاز.

ولما كان القرآن الكريم كذلك، فقد ملك على السلف الصالح مشاعرهم، واستأثر بعنايتهم التي لم يحظ بمثلها كتاب من قبل ولا من بعد. ونهج العلماء الأبرار من بعدهم هذا المسلك من حيث الاهتمام، وتجلى ذلك في وضع كثير من العلوم المتعلقة بالقران الكريم، ومن تلك المباحث: مبحث (علم المناسبة) الذي يبحث في سور القرآن الكريم من حيث السبك، وإحكام السرد، والعلاقة بينها، والآيات كذلك، فالآية منسقة في كلماتها، متآزرة مع أخواتها من الآيات، فقد نظمت نظماً متقناً لا يعتريه خلل لا في اللفظ ولا في المعنى.

ومع إدراك هذه الحقيقة، فقد رأينا من العلماء من نفي هذا العلم، ودعم رأيه بما ظن أنه الحق، وأورد من الشبه ما يدفعه ولا يقره، لذا رأيت أن يكون موضوع هذا البحث: (علم المناسبة، منطلقاته، أهميته، وموقف العلماء منه) لاتصاله بأفضل الكتب على الإطلاق، وهو القرآن الكريم، وله أهمية كبرى؛ لأنه

مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، ووجه من وجوهه؛ لأن القرآن كما هو معجز بألفاظه وأساليبه وعبارته فهو - أيضاً - معجز بالترتيب الذي جاء في المصحف الإمام، ومن هذا المنطلق فالمناسبة من حيث وجودها في القرآن ضرورة وأمر حتمي واجب لهذا الإعجاز. كما له دخل كبير في توضيح معنى النص القرآني، والترجيح بين الآراء والاحتمالات في النص، وهو من موضوعات علوم القرآن من الجانب النظري، ومن عناصر التفسير من الجانب العملي التطبيقي.

هذا وقد قمت بعرض أقوال كل من القائلين به والمعارضين له، ومناقشة الشبهات التي أوردها المنكرون له على ضوء ما وضعه العلماء المحققون من أطر وقواعد، فأكون بهذا المنهج قد وصلت بعون الله تعالى إلى بيان وجه الحق في هذه القضية التي كثر اختلاف العلماء فيها.

والحقيقة، لا أدعي أني لم أُسْبَقْ لهذه الكتابة، فقد سبقني غيري من العلماء الأجلاء قديماً وحديثاً، كما ظهر في كثير من المؤلفات والبحوث، فأقدر فضلهم الكبير، وأقول إني عالة عليهم في هذا البحث وغيره ما أزيد على التفقه بآثارهم والاستضاءة بأنوارهم، لا يغضض من قيمة عرفاننا هذا فيما سأكتبه في هذا الموضوع.

وقد ضمنت هذا البحث مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- المبحث الأول: مدخل في شرح مصطلحات علمية يتطلبها البحث وبيان الخلفية التاريخية لعناية العلماء بعلم المناسبة ويتضمن ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: تعريف علم المناسبة.
  - المطلب الثاني: أهمية علم المناسبة، ودلالته على الإعجاز.
  - المطلب الثالث: اعتناء علماء التفسير بعلم المناسبة.
- المبحث الثاني: موقف العلماء إزاء علم المناسبةونكر شبه المنكرين له، وردها، ويتضمن ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول:** موقف المستشرقين من علم المناسبة.

- **المطلب الثاني**: آراء العلماء في علم المناسبة.
- **المطلب الثالث**: مدار الشبه عند العلماء ومناقشتها.

- المبحث الثالث: نماذج تطبيقية على علم المناسبة في كتاب الله تعالى. ويتضمن ستة مطالب:
  - المطلب الأول: المناسبة بين أجزاء الآية.
  - المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة.
  - المطلب الثالث: مناسبة السورة بالسورة.
  - المطلب الرابع:مناسبة افتتاح السورة لموضوعها
  - المطلب الخامس: **مناسبة فاتحة السورة وخاتمتها**.
  - المطلب السادس: **مناسبة اسم السورة لموضوعها**
- الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من دراسة هذا البحث.

أرجو أن أوفق في إجلاء هذا البحث بصورة موجزة توفي بالمطلوب، وتحقق المقصود، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول

مدخل في شرح مصطلحات علمية يتطلبها البحث وبيان الخلفية التاريخية لعناية العلماء بعلم المناسبة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
تعريف علم المناسبة

حتى نتمكن من استجلاء وكشف سر الترابط بين آيات القرآن الكريم وسوره وهو ما يعرف عند العلماء (بعلم المناسبة) لا بد من إلقاء النظر على تعريف هذا المصطلح، وبيان أهمية هذا العلم؛ لأن من درس هذا المبحث وغيره من مباحث علوم القرآن فانه يجيء إلى كتاب الله تعالى وفي يده مصابيح هادية تنير له الطريق وتعينه على فهمه، وتذوق أسراره في يسر وسهولة، فهو بحق من العلوم التي تخدم كتاب الله تعالى وتكشف عن وجه من وجوه الإعجاز فيه، التي تخفى على بعض الناس، حيث إنه يبرز القرآن الكريم متآلفاً مترابطاً آخذاً بعضه بحُجَزِ[1] بعض، ليس فيه لفظ إلا وله موضعه المخصص له لا يمكن لغيره أن يسد مكانه، وليس فيه آية إلا وهي منسجمة مع الآية التي تسبقها والتي تليها، وليس فيه سورة إلا ولها علاقة فيما قبلها وما بعدها، وهذا الكتاب العزيز بهذا التلاحم والترابط العجيب والانسجام الملفت يبدو وكأنه سلسلة واحدة مع تعدد حلقاتها.

وأشرع الآن بعون من الله تعالى في المقصود، فأقول وبالله التوفيق:

علم المناسبة: مركب إضافي، لا بد لتعريفه من تعريف جزأيه، ثم تعريفه بعد أن أصبح فناً مدوناً.

---

(١) معناه معقد الإزار.

(١) معنى كلمة (علم) لغة واصطلاحا:

أ – العلم في اللغة: الفهم، ويطلق على اليقين، يقال: (علم) (يعلم) إذا تيقن[٢].

ب – أما في الاصطلاح فقد توارد على كلمة (علم) اصطلاحات متعددة باختلاف الاعتبارات، ولكنها جميعاً وثيقة الصلة بالمعنى اللغوي، إلا أني أخص منها ما له علاقة في علم المناسبة كفن مدون، فقد عرفه علماء التدوين بأنه(يطلق على المسائل المختلفة المضبوطة بجهة واحدة)[٣] والمسائل تنضبط بموضوعها، وتنضبط بغايتها وفائدتها، فالمعنى المقصود – إذاً – من علم المناسبة على ضوء التعريف السابق: المسائل المتنوعة المختصة بالقرآن الكريم من حيث ارتباط آياته، وتناسق بعضها مع بعض، وما فيها من انتظام الكلمات والألفاظ على أحسن وجه، وكذلك السور القرآنية وتناسقها مع ما قبلها وما بعدها، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بهذا العلم.

(٢) المناسبة لغة واصطلاحاً:

أ – تعريفها لغة: لو عدنا إلى أمهات كتب اللغة العربية لنستخرج ما تضمنته من دلالات المناسبة لتبين لنا ما يلي: يقول ابن منظور:النسب القرابة، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه أي قريبه، ويقال ناسب الأمر أو الشيء لاءمه ووافق مزاجه[٤]، وجاء في معجم مقاييس اللغة إن (نسب) النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به ومنه (النسيب) في الشعر إلى المرأة، كأنه يتصل بها، والنسيب: الطريق المستقيم؛ لاتصال بعضه مع بعض[٥].

---

(٢) المصباح المنير للفيومي ج٢ / ٤٢٧.

(٣) غزلان / عبد الوهاب عبد المجيد / البيان في مباحث علوم / مطبعة التأليف، القاهرة / ص١٨، ١٩، وللاطلاع على المصطلحات التي قيلت في تعريف كلمة العلم اصطلاحاً، انظر نفس المرجع بالصفحتين المذكورتين.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج٦ / ص ١٧٥

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٥ / ٤٢٣، ٤٢٤، وينظر إلى تاج العروس / محمد مرتضى ا لزبيدي ج٤ / ٢٦٠، ٢٦٥، وانظر أساس البلاغة للزمخشري / ص ٩١٦، ٩١٧.

وفي القاموس المحيط: النسبة بالكسر والضم القرابة والمناسبة المشاكلة[٦]. وجاء في البرهان: والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً، أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه، وان كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة، ومن المناسبة في العلة: باب القياس: الوصف المقابل للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها.[٧]

ب – تعريف علم المناسبة اصطلاحاً: يقول البقاعي في تعريفه (هو ارتباط آي القرآن الكريم بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني)[٨]، وعرفه كذلك: (علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه)[٩]

المطلب الثاني
منطلقات أهمية علم المناسبة ودلالته على الإعجاز

علم المناسبة يحمل منطلقات عدة جعلت له قيمة عالية ومنزلة عظيمة، وتبرز هذه الأهمية في توضيح كتاب الله تعالى إذا عرفنا أن موضوعه:علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم[١٠]. ولا ريب أن الوقوف على معرفة تلك العلل يوصلنا إلى سر من أسرار بلاغته؛ ذلك بان يجعل، (أجزاء القرآن الكريم بعضها

---

(٦) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص ١٧٦.

(٧) البرهان في علوم للزركشي / ج١ / ٣٥ وانظر تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، ت: عبد الله محمد الدرويش، ص١٥، وانظر الإتقان في علوم للسيوطي، ج٢: ٢٣٥، وانظر المصباح المنير للفيومي ج٢ / ٧٣٦

(٨) نظم الدرر في تناسب الآي والسور / للبقاعي، ١ / ٥، وانظر مباحث في علوم القرآن/ للشيخ مناع القطان الطبعة ٢٢ ص ٩٧.

(٩) المصدر السابق، نقلاً عن أبي بكر بن العربي في (سراج المريدين)، (١ / ٦،

(١٠) يقول البقاعي في موضوع هذا العلم (أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب) انظر: نظم الدرر (١/٥).

آخذاً بأعناق بعض؛ فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء)[١١]. وكما عبر ابن المقفع[١٢] عن ذلك بقوله: (فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل)[١٣]، فهو قد أشار لكلمة نظم وهذا (يحقق المقصود من المعنى اللغوي للنظم ويدور في فلك المعنى الاصطلاحي، فنشعر بمسالة الترتيب والتنظيم، وإدراك العلاقة بين أجزاء المنظوم واضحة جدا)[١٤].

أجل لقد اشتمل هذا الكتاب العزيز على النظم الفريد والأسلوب الذي خالف ما كان عليه العرب، حتى عدوه – وهم العارفون بأساليب الكلام – أنه في ذلك نسيج وحده، كما روي عن أكابر (زعمائهم) كالوليد بن المغيرة، وهذا هو الحق، تقرأ سور القرآن الكريم فيبدو لك ما فيه من بديع النظم ما لم يسبق إليه، وتأخذك روعة ألفاظه ومجيئها على قدر المعنى التي صيغت له. وهذا يدل على إعجاز القرآن الكريم كما قرر العلماء المحققون في كتاباتهم، ويُعَدُّ أبو عبيدة من أوائل الذين لفتوا النظر إلى بيان إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه

---

(١١) البرهان في علوم ج١ / ٣٥، والإتقان في علوم ج٢/ ٢٣٥٦.

(١٢) هو عبد اله بن المقفع، درس في فارس وتعلم العربية، مات مقتولاً في زمن المنصور، وهو في مقتبل العمر، وترك آثاراً كثيرة، وكان صاحب المدرسة الرائدة في النثر، من مؤبفاته الدرة الثمينة والجوهرة المكنونة.
الأدب الصغير، رسالة الصحابة.

(١٣) الأدب الصغير عبد الله بن المقفع، – بيروت، دار مكتبة الحياة، عام ١٩٦٦م، ص ٦ – ٨.
ومعنى (أكاليل) هي جمع إِكْلِيل، وهو شبه عِصابة مزيَّنة بالجَوْهَر، قال الأعشى:
له أكاليلُ بالياقوتِ زَيَّنَها... صَوَّاغُها لا ترى عَيْباً ولا طَبَعَا.
انظر المراجع الآتية: لسان العرب ١١/ ٥٩٠ لمحمد بن مكرم بن منظور / الناشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى. وكتاب القاموس المحيط ج ٣ / ١٦١، وانظر تاج العروس ١/ ٥٤١٧. ومعنى سموط – كما جاء في كناب الاشتقاق لابن دريد –:
القِلادة من الجوهر وغيرِه، وجاء في تاج العروس: ج١/ ٧٨٢٢:
ونظمها في سموط أبوابه أبدع نظام وأدرجها في إدراج فصوله مع حسن انسجام وأكمل تاجه وأتمم نتاجه.

(١٤) معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور محمد بركات حمدي أبو على / الأردن، دار الفكر، ط١، عام ١٩٨٤ م ص ٨٢.

ونظمه لاسيما في كتابه الذي وسمّاه باسم (مجاز القرآن)[١٥] وهذا الجاحظ[١٦] قد هداه إحساسه وما يكسبه الكلام من الرونق إلى أن ألف كتاباً في (نظم القرآن) إلا أنه سقط من يد الزمن، وقد ذكر في كتابه الحيوان قوله: (في كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد)[١٧]، وهذا الخطابي[١٨] يبين الأصل الذي من أجله تعذر على العرب أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، ويذكر أموراً عدة، منها: عدم معرفتهم التامة بجميع أنواع النظم، وهو: أي النظم ترتيب الكلمات في الوضع، بحيث تكون كل لفظة في محلها اللائق لها الخاص بها، فهو يرى أن الكلام لا بد له من عناصر ثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم[١٩].

وممن رأى أن التأليف والانسجام من الإعجاز، العلامة الباقلاني، فهو يذكر أن وجوه الإعجاز ثلاثة[٢٠]، وقد كان أكثر الوجوه تفصيلاً لديه: الوجه المتعلق

---

(١٥) نظرية النظم ومنهج تفسير القرآن عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، د: نصر الدين إبراهيم أحمد حسن، بحث منشور في بحوث المؤتمر العالمي عن مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف، المنعقد في ماليزيا من:٢١ -٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٧ الجزء الأول ص٣٢٠

(١٦) هو العلامة ذو الفنون أبو عثمان عمرو البصري المعتزلي صاحب التصانيف، أخذ عن النظام، وروى عن أبي يوسف القاضي وثمامة بن أشرس، ولد سنة ١٥٩هـ في عهد المهدي، وتوفي سنة ٢٥٥هـ له مؤلفات عدة، منها: نظم القرآن الكريم، البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء.
انظر: اعلام النبلاء، ميزان الاعتدال،

(١٧) الجاحظ، الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصر، مطبعة البابي الحلبي ط٢، عام ١٩٦٩ م ج٤، ص٩٠

(١٨) هو العلامة أبو سليمان أ حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابي، أحد المشاهير الأعيان والفقهاء المجتهدين المكثرين من المصنفات. ولد سنة ٣١٩هـ وتوفي سنة ٣٨٨هـ، كان ثقة ثبتاً من أوعية العلم بارعاً في اللغة. شرح السنن لأبي داود، وله شعر جيد، من مؤلفاته: معالم السنن، وكتاب شرح الأسماء الحسنى، وغيرهما.

(١٩) انظر إعجاز الكريم / تأليف الدكتور فضل حسن عباس، وابنته سناء/ المكتبة الوطنية / عمان / الأردن.

(٢٠) للاطلاع على تلك الوجوه: انظر كتاب إعجاز للباقلاني ص ١٣، وانظر المرجع السابق ص ٥٤.

(بالنظم البديع)، بل إن كتابه يكاد يكون مبنياً عليه، يقول: (فانظر إن شئت إلى شريف هذا النظم، وبديع هذا التأليف، وعظيم هذا الرصف، كل كلمة من هذه الآية تامة، وكل لفظ بديع واقع)[٢١].

وممن أشار إلى أن نظم القرآن الكريم هو الذي كان به معجزاً: القاضي عياض[٢٢]، فقد بين أن القرآن منطوٍ على وجوه كثيرة من (صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب)[٢٣] وهذا ما تنبه إليه الإمام فخر الدين الرازي.[٢٤] بل قرر رحمه الله تعالى أن (أكثر لطائف مودعة في الترتيبات والروابط)[٢٥]. وممن ذهب إلى هذا الاتجاه ابن العربي في (سراج المريدين) حيث يقول: (ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني)[٢٦]. وهذا ما أقره الشيخ كمال الدين الزملكاني ت ٧٢٧ هـ بعدما ذكر مناسبة استفتاح سورة الإسراء بالتسبيح،

---

(٢١) إعجاز الكريم / أبو بكر الباقلاني، ص ١٧٧ وانظر إعجاز للدكتور فضل ص ٥٥.

(٢٢) هو الإمام الحافظ المحدث الحجة عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن عياض، عالم المغرب، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ. قال عنه ابن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، كان إماماً في الحديث وأعرف الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، روى عنه خلق كثير، له مؤلفات كثيرة منها: الشفاء في شرف المصطفى، مشارق الأنوار، والعقيدة، وشرح حديث أم زرع، وجامع التاريخ وغيرها.

(٢٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض، شرح علي القاري، ص ٢٤٣.

(٢٤) حيث يقول وهو يفسر قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ البقرة ٢٨٥ (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو – أيضاً – بسبب ترتيبه ونظم آياته، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج٧ / ١٢٩، وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/(١: ٦) وممن أكد هذا القول الزمخشري في تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل ١ ٤٩٧، وج٢ / ١٥٣.

(٢٥) البرهان في علوم للزركشي ١/ ٣٦.

(٢٦) الإتقان في علوم / للسيوطي/ النوع الثاني والستون ٢/٢٨٨ رقم ٥٢٢٢، وانظر البرهان في علوم ١/٣٦، وأسرار ترتيب / للسيوطي، مقدمة المحقق: عبد القادر عطا الله، ص٤.

وسورة الكهف بالتحميد، يقول: (وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات، وتعلق بعضها ببعض، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة)[٢٧]. ويقول الإمام الشاطبي: وهل للقران مأخذ في النظر على أن جميع سوره كلام واحد؟[٢٨] وللإمام الفراهي لفتتة موفقة قي هذا الجانب، فقد انتبه رحمه الله تعالى إلى هذا العلم وقيمته، فاشاد بذكره، حيث يقول: إني رأيت في ترتيب كلام الله تعالى – وله الحمد على ما أراني – أن الكلام ينجر من أمر، إلى أمر وكله جدير بأن يكون مفصحاً فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة)[٢٩].

ومما قاله مشيراً إلى أهمية النظام ومنوها به في كتاب الله تعالى: إن معرفة النظام من الضرورات لعلماء الأمة، حيث يعلموا الناس حسب ما فهموا، فإنهم إن لم يفهموه واختلفوا فيه كيف يرشدون الناس؟ بل يشتد ضرر قيادتهم لأنفسهم ولجميع المسلمين. إلى أن يقول: فإن فهم الكلام لا يمكن بدون فهم معرفة النظام، وإنه لهو السبيل الوحيد إلى فهمه[٣٠].

ويقول رحمه الله تعالى: (إن فهم القرآن محول إليه (يعني علم المناسبة) والوجوه الكثيرة في التأويل وعدم الاعتماد على تأويل صحيح إنما نشأ من عدم المعرفة بالنظام، فإنه هو المعتمد في صحيح التأويل ورفع الشكوك والحيرة)[٣١].

تلك بعض النقول الموجزة عن أكابر العلماء السابقين التي تدل في جملتها على ارتباط كلام الله تعالى سوره وآياته بعضها ببعض، كأنه سلسلة من ذهب متماسكة الحلقات آخذ بعضها برقاب بعض وهو الذي أعجز العرب هذا من جانب. والأمر الآخر أردت من خلالها أن أقرب إلى الأذهان موضوع فكرة النظام، وبيان قيمته من ناحية فهم القرآن الكريم.

---

(٢٧) البرهان ١/ ٣٩

(٢٨) الموافقات في أصول الشريعة ٣/ ٢٨٤ المسألة الثالثة عشرة.

(٢٩) دلائل النظام للإمام عبد الحميد الفراهي ٥٤.

(٣٠) المرجع السابق ص١٠.

(٣١) المرجع السابق ص ٧٥.

أما المحدثون في هذا العصر ممن كتبوا في الإعجاز فقد كان لكثير منهم ملحوظات حول هذا الوجه حرية بالاهتمام والتقدير، منهم مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى[٣٢]، فهو يرى أن سر التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر – مع أن المادة اللغوية واحدة لا تختلف – يرجع إلى أمور كثيرة أهمها:

أولا: ما نجده في أسلوب القرآن الكريم من قوة نسج وإحكام في السرد.

ثانيا: إن هذا الإحكام وتلك القوة في الأسلوب سواء في كل سور القرآن، طويلة أو قصيرة، مكية كانت أو مدنية فهو على نسق واحد، كما لا يختلف في تصويره رغم اختلاف الموضوعات التي تناولها.[٣٣].

ومن المُحْدِثين: الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى[٣٤] فقد ألف كتاباً جليلاً غاية الإبداع والإتقان سماه (النبأ العظيم) بين لنا جمال التنسيق في كتاب الله تعالى والصلات الوثيقة والروابط المحكمة والاتساق البديع التي اتصف بها سوره وآياته، فكان ذلك دليلاً على بلاغته.[٣٥]

---

(٣٢) ولد الرافعي في قرية من قرى القليوبية بمصر في يناير ١٨٨٠ م لأبوين سوريين حيث يتصل نسبه بعمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم. نشأ في أسرة لها حظ وافر من العلم والثقافة، حفظ القرآن وهو دون العاشرة، أصيب بمرض ترك في أذنيه وقراً، لم يزل يعاني منه حتى فقد حاسة السمع وهو لم يجاوز الثلاثين سنة.بدأ الرافعي حياته الأدبية شاعراً، كتب في تاريخ آداب العرب وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ومن الإنتاج المتميز للرافعي كتاباه: تحت راية القرآن، ووحي القلم.

(٣٣) انظر إعجاز القرآن للدكتور فضل ص ٥٦.

(٣٤) من مواليد قرية محلة دياي مركز دسوق عام ١٨٩٤ م، حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية والتحق بالمعهد الديني بالإسكندرية ثم حصل على العالمية النظامية وكان ترتيبه الأول، سافر إلى فرنسا في بعثة أزهرية والتحق بكلية الآداب جامعة السربون وحصل على اللسانس عام١٩٤٠ م. ألف رسالتين بالفرنسية عن القرآن الكريم وآدابه نال بها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف العليا عام ١٩٤٧محصل على عضوية جماعة كبار العلماء، له مؤلفات كثيرة باللغتين العربية والفرنسية.

(٣٥) انظر كتاب إعجاز القرآن للدكتور فضل ص ١١٥.

[ومن العلماء المحدثين الذين قالوا: إن علم المناسبة وجه من وجوه الإعجاز: مالك بن نبي[٣٦] في كتابه (الظاهرة القرآنية) يقول: (كل وحي يضم وحدة جديدة إلى المجموعة القرآنية، هذه الوحدة تؤدي بالضرورة فكرة واحدة وأحيانا مجموعة من الفكر المنتظمة في أسلوب منطقي يمكننا ملاحظته في آيات القرآن الكريم)[٣٧].

وهذا ما ذهب إليه الدباغ في كتابه (وجوه من الإعجاز القرآني) فهو يؤكد أن القرآن في مفرداته وآياته وسوره (متصل اتصالاً معجزاً جعله كالبنيان المتكامل)[٣٨] وغير هؤلاء من العلماء المعاصرين الذين يرون أن اتساق المعاني بين الآيات والسور دليل على إعجاز القرآن الكريم.

ولما كان علم (المناسبة) في غاية النفاسة كونه مناط الإعجاز البلاغي، فضلا عن كونه يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن في اللب[٣٩]، كما أنه يبعد عن آيات الله تعالى أهواء المبتدعين، وزيغ المنحرفين، والذين يحرفون الكلم عن مواضعه، لما كان كذلك فقد ألف كثير من جهابذة العلماء كتباً في هذا الفن بينوا فيها وجه اتصال الآيات بعضها مع بعض، وترتيب السور؛ لما يترتب على معرفته والوقوف على أسراره من حكم جليلة، مقاصد عظيمة – كما وضح لنا آنفا – جاء في كتاب الإتقان: (إن ممن أفرده بالتأليف: العلامة أبو جعفر بن الزبير المتوفى سنة ٨٠٧ – شيخ أبي حيان – في كتاب سماه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، ومن أهل هذا العصر: الشيخ برهان الدين إبراهيم

---

(٣٦) هو مالك بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في مدينة تبسة التابعة لولاية قسنطينة بالجزائر ١٣٢٢هـ ١٩٠٥م، تفرغ ابن نبي في باريس للعمل الفكري، وقد خاض فيها مناقشات كثيرة في العقائد مع المسيحيين.
اصدر أول كتبه الظاهرة القرآنية. توفي في الجزائر في (٤ شوال ١٣٩٣هـ، ٣١ أكتوبر ١٩٧٣م)
مالك بن نبي – مذكرات شاهد قرن – دار الفكر – دمشق

(٣٧) الظاهرة القرآنية للأستاذ مالك بن نبي، ص ١٨٢.

(٣٨) وجوه من الأعجاز القرآني، للأستاذ مصطفى الدباغ، ص ٤٣

(٣٩) انظر نظم الدرر للبقاعي، ١ / ١١

بن عمرالبقاعي[٤٠] في كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته (تناسق الدرر في تناسب السور)[٤١].

ولا تزال المؤلفات في هذا العلم تتوالى إلى يومنا هذا، من هذه الدراسات المعاصرة: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره للدكتور، محمد أحمد يوسف القاسم هي أطروحة الدكتوراه. وكتاب دلائل النظام للإمام عبد الحميد الفراهي الهندي، وكتابه أساليب البيان، وكتابه فاتحة سورة نظام القرآن وكتاب إمعان النظر في نظام الآيات والسور للدكتور محمد عناية الله محمد هداية الله[٤٢]، وهناك بحث مخطوط حول فكرة المناسبات بين آيات وسور القرآن. للدكتور أحمد حسن فرحات. وغيرهم كثير.

المطلب الثالث
المفسرون واهتمامهم بعلم المناسبة

إذا كان بعض العلماء قد صنفوا كتباً مستقلة تعنى في علم المناسبة فقد كان هناك اهتمام من بعض علماء التفسير – قديماً وحديثاً – ببيان المناسبات بين الآيات والسور في تفاسيرهم، اذكر بعضهم دون بيان الأمثلة والشواهد الدالة على ذلك، فهي كثيرة لا يتسع لها البحث، منهم:

---

(٤٠) هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي، أصله من البقاع في سورية. ولد سنة ٩٠٨هـ وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة وتوفي في دمشق سنة ٨٨٥هـ قرأ على علماء أجلاء، منهم: التاج بن بهاء، والجزري والتقي الحصني، والتاج الغرابيلي، والحافظ بن حجر، له مصنفات عدة منها: الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، غير أن أهم مصنفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. انظر ترجمته البدر الطالع، والضوء اللامع، وشذرات الذهب.

(٤١) انظر الإتقان في علوم للسيوطي، النوع الثاني والستون، ٢/ ٢٨٨ رقم ٥٢٢٣.

(٤٢) – رسالة ماجستير – نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الأمام محمد بن سعود في الرياض سنة ١٩٨١م.

- الشيخ أبو حسن النيسابوري[٤٣]، والحقيقة أنه لم يذكر العلماء الذين هم على صلة بعلم المناسبة أن أحداً قبل هذا العالم أظهره، وقد وصف بغزارة العلم في الشريعة والأدب، كان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية، لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.[٤٤]، والإمام فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ[٤٥] في كتابه المشهور مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، وقد لا يقتصر بذكر مناسبة واحدة بأن يتبين له أكثر من علاقة بين أجزاء النص الواحد.[٤٦] وابن عطية في كتابه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). وابن جزي الكلبي[٤٧] في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل). وممن أولى هذا العلم اهتماماً خاصاً: أبو حيان الأندلسي[٤٨] في

---

(٤٣) انظر ترجمة هذا العالم في اللباب ٢ / ٢٥٢، وطبقات القراء ١/ ٤٩٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٢.

(٤٤) البرهان في علوم / ج١ ص٣٦، الإتقان في علوم / لجلال الدين السيوطي / النوع الثاني والستون / ٢/ ٢٨٨ رقم ٥٢٢٣

(٤٥) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الخطيب الرازي ولد سنة ٥٤٣هـ في مدينة الري تنقل في البلاد الأعجمية، ودخل البلاد العربية، وأتقن العربية كما أتقن الفارسية، عرف بلقب الإمام لكثرة علومه واطلاعه، له مؤلفات كثيرة، منها. التفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب، المحصل في الفقه، وكتاب المسائل في الطب وغيرها.

(٤٦) انظر: تذكرة الحفاظ، للإمام حافظ احمد بن عثمان الذهبي، وكتاب البداية والنهاية للإمام الحافظ ابن كثير.

(٤٧) انظر على سبيل المثال تفسيره في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ الإسراء٦١، بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ..﴾ الإسراء٦٠ وقد بين في كيفية النظم وجوها وذكر ثلاثة وجوه، ٢ / ٢١.

(٤٨) هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله يحي بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزي الكلبي ابوالقاسم الغرناطي الأندلسي المالكي ولد سنة ٦٩٣هـ وتوفي في أوائل ربيع الأول من سنة ٧٥٨هـ، له مؤلفات عدة، منها: أصول القراء الستة غير نافع، الأنوار السنية في الكلمات السنية، التسهيل لعلوم التنزيل في التفسير، تقريب الوصول إلى علم الأصول، وغيرها. انظر هداية العارفين، القول المختصر المبين في مناهج المفسرين.

كتابه (البحر المحيط)[٤٩]، وكذلك الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل، والشيخ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ت ٧٢٨ في كتابه غرائب القرآن ورغائب الفرقان، والعلامة الزمخشري ت ٥٣٨هـ في كتبه الكشاف.

ومن العلماء الذين اعتنوا بهذا العلم: ابن تيمية في تفسيره لسورتي الفاتحة والإخلاص، وكذلك تلميذه ابن القيم في تفسيره لسور الفاتحة والمعوذتين، ومن هؤلاء العلماء: الفيروز أبادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، وممن كان شديد العناية بذكر المناسبات بين الآيات، العلامة: أبو السعود محمد بن محمد العمادي ت ٩٨٢هـ في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، والعلامة الألوسي ت١٢٧٠هـ في كتابه روح المعاني.

ومن العلماء المعاصرين الذين كانت لهم عناية في إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: الشهيد سيد قطب في تفسيره الرائع: (في ظلال القرآن)، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر رحمه الله في كتابه في التفسير الذي وضح فيه عشر سور من القرآن الكريم، وغيرهم الكثير[٥٠].

---

(٤٩) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي ولد في غرناطة سنة ٦٠٤هـ، كان للوراثة والبيئة أثر كبير في تكوين شخصيته ونضوجه الفكري، كثير الارتحال لطلب العلم، أخذ عن والده، وعد أمير النحاة، كما كان مفسراً ومحدثاً ومؤرخاً، قيل: أنه كان إمام عصره في ذلك، ، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى رحمة واسعة. (ارجع إلى مقدمة تفسير البحر المحيط).

(٥٠) لمعرفة المزيد ممن أفرد هذا العلم بالتأليف ومن عرض له من المفسرين والكتاب، وغيرهم. انظر كتاب التعريف بالقران الكريم، تاريخه وبعض علومه، للدكتور أحمد حسن فرحات ص٣٤، وانظر كتاب في مناسبات سور القرآن، إعداد محمد يعقوب نو الكفل بن الحاج يوسف، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الأردنية في كانون الأول ١٩٩٢ ص ١٠ – ١٢.

المبحث الثاني
موقف العلماء إزاء علم المناسبة
وذكر شبه المنكرين له، وردها

تبين لنا فيما لا مجال للشك فيه أن علم المناسبات والإحاطة به كان موضع عناية وتقدير واهتمام كبير من العلماء والباحثين – قديماً وحديثاً – لإدراكهم ما اتصف به من شرف عظيم تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول[٥١]؛ ولعلمهم بما يترتب عليه من فوائد جليلة، وحكم عظيمة، كنت قد أشرت إلى جانب منها، وبالإضافة إلى ما تقدم فقد فسرت في ضوئه أكثر أحكامه وشرائعه بما أودعت فيه أكثر لطائفه وروائعه، كما أن اكتشاف ترابط الجمل والآيات، طريق إلى الإيمان، بل ورسوخه في القلب – كما بينت آنفا – وربما أدى ببعض المخالفين إلى الدخول في الدين بعد أن يقف على دقائقه ودلائله.[٥٢] أقول: ومع إدراك هذه الحقائق بعظم هذا العلم، فقد ورد من بعض المستشرقين والعلماء شبهات تطعن بمن قال بإثبات الربط والانسجام في الآيات القرآنية، سأذكر بعضها، ثم أقوم بالرد عليها.

المطلب الأول
موقف المستشرقين من علم المناسبة

نقل إلينا عن بعض المستشرقين – ممن لا حس لهم بالذوق البياني في كتاب الله تعالى – أنه جمع غير مؤلف، أشبه بقولهم: خمر، لبن، عسل، فالسورة القرآنية لا تشكل وحدة متناسقة مترابطة، ولا صلة بين الآيات مطلقاً، فهي مفككة الأوصال غير محكمة الربط، إلى غير ذلك من الكلام الذي يدل على جهل في بلاغة القرآن الكريم فنونها وأفنانها، وأرادوا من هذه الافتراءات النيل منه والغض من شأنه.

---

(٥١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥.
(٥٢) انظر نظم الدرر ١/٧

إن هذا التصور الذي بدا من أفواه هذه الفئة الباغية، وما تخفيه صدورهم أعظم، أقل ما يقال فيه: إنه تصور باطل، يرتكز على جهل كبير، وعلى قصور في النظر، وضحالة في التفكير، وعدم اكتشاف ما في القرآن الكريم من روابط خفية.[٥٣] تتجلى في جودة السبك وإحكام السرد، وتلك مسالة غفل عنها جميع المستشرقين؛ فعندما لاحظوا بنظراتهم السطحية عدم توافر التجانس والربط الطبيعي بين المواد التي تناولتها السور، لم يروا في القرآن الكريم إلا أشتاتا من الأفكار المتنوعة، عولجت بطريقة غير منظمة، بينما رأى البعض الآخر أن علة هذا التشتيت المزعوم ترجع إلى الحاجة لتخفيف الملل الناتج من رتابة الأسلوب، وهناك فريق آخر يرى أن هذا العيب يرجع إلى الصحابة الذين جمعوا وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه ورتبوها على شكل سور، وغير ذلك من الآراء الباطلة التي لم تقم على المنهجية العلمية السديدة، والتفسيرات التي لا تبدو صالحة للأخذ بها كما أشار الدكتور دراز رحمه الله تعالى، إذ من المتفق عليه أن السور كانت بالشكل الذي نقرؤها به اليوم، وبتركيبها الحالي منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فليس لأحد قط – كائناً من كان – دخل في ترتيب آيات القرآن الكريم بعد أن وقْفَ جبريلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترتيبها ووقف الرسول – بدوره – كتبة الوحي على ذلك[٥٤].

أجل، إن مثل هذه المزاعم من المستشرقين ينقصها الدليل، وقد نشأت عن قلة البضاعة من كلام العرب وأساليبهم في الفصاحة والبلاغة، بل الجهل بها، وأما ترابط آياته فحسبك برهاناً عليه أن تقرأ أية سورة من سور القرآن كبيرة أم صغيرة، فلا تجد فيها إلا إحكاماً للربط، وتناسقاً تاماً بين الآيات والسور، جاءت متعانقة متآخية، فيها من علو المباني، وسمو المعاني ما يبهر

---

(٥٣) انظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم للأستاذ سعيد حوى ص ٢٣١، وانظر علوم القرآن، للدكتور عبد الله شحادة، ص ٢٣.

(٥٤) انظر مدخل إلى القرآن الكريم / عرض تاريخي وتحليل مقارن / تأليف د.محمد عبد الله دراز، ص ١١٨.

الألباب ويأخذ بمجامع قلوب العباد الصالحين، [٥٥]. وسأذكر في المبحث الثالث ما يدل على ذلك، ونرد به على مقولات المستشرقين.

المطلب الثاني
موقف العلماء من علم المناسبة

كنت قد بينت آنفاً موقف بعض المستشرقين من علم المناسبة، والواقع أنه ليس غريباً أن تصدر مثل هذه الدعاوى الباطلة، فقد عرفوا بالافتراء والعمل بكل ما من شأنه الطعن في القرآن الكريم، والذي يؤلم غاية الألم أن ينقل لنا عن بعض علمائنا الذين نعتز بهم ونفتخر، إنكارهم لهذا العلم، متذرعين بشبه اعتقدوا صحتها، سأذكرها، وأقوم بمناقشتها. والحقيقة أن المقام هنا يقتضي ذكر أقوال العلماء في علم المناسبة، وسأعرضها بإيجاز بالغ بما يحقق المقصود بإذن الله.

القول الأول: وهو الذي ينكر المناسبة وقي طليعة هؤلاء المفسر (الشوكاني)[٥٦] الذي ذهب إلى القول بأن البحث عن المناسبات في القرآن الكريم

---

(٥٥) ومن الأمثلة الدالة على ترابط الآيات بعضها مع بعض، انظر إلى سورة الكوثر الفذة التي عدد آياتها ثلاث، وهي أصغر سورة في كتاب الله تعالى، فقد أعجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثلها عند نزولها، وسيبقى التحدي باقياً ما اختلف الملوان وتعاقب الجديدان، لما اتصفت به من فرائد المباني، وفوائد المعاني الكامنة فيها التي جاءت متآخية متعانقة يأخذ بعضها بعنق بعض، وفي ذلك من دقة الإيجاز وروعة الإعجاز ما يبهر العقول، فهي تتصف بالإيجاز والإعجاز، قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، لمن تأملها، وللمزيد من الاطلاع على مزايا هذه السورة وما اتصفت به من صفات الإعجاز ارجع إلى بحث / أسرار إعجاز سورة الكوثر للدكتور شحادة حميدي العمري في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلة علمية محكمة، جامعة آل البيت – المجلد (٢) العدد (١) صفر ١٤٢٧ ه آذار ٢٠٠٦ م ص ٦٣ – ٧٧.

(٥٦) هو محمد بن على بن عبد الله الشوكاني، ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣هـ نشأ محباً لطلب العلم، حفظ القرآن الكريم ورتله، تلقى العلم عن أكابر العلماء المتخصصين في عصره في العلوم العربية والشرعية والعقلية والرياضية والفلكية، كان من دعاة الاجتهاد ونبذ التقليد والرجوع إلى عقيد السلف الصالح توفي سنة ١٢٥٠هـ.
(ارجع إلى السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني).

بدعة، يقول: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الرب سبحانه..)[٥٧].

ويقول: (وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا ما زال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله عز وجل إليه، وكل عاقل – فضلاً عن عالم – لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية فنزولها متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً... إلى القول: وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف في النازل فيها هو – باعتباره نفسه – مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون، والماء والنار)[٥٨] ويستطرد رحمه في الحديث عن هذه القضية مسوِّغاً رده لعلم المناسبة[٥٩].

القول الثاني: عدم إنكاره بالكلية، ويمثل هذا القول العز بن عبد السلام، فهو يقرر بأن المناسبة علم حسن (لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه)، ويستدل لذلك بقوله (فإنه نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض[٦٠]

---

(٥٧) تفسير الشوكاني ١/ ٧٢.
(٥٨) المرجع السابق ج١/ ٧٢.
(٥٩) للاطلاع على هذا الحديث بكامله انظر تفسير الشوكاني ٧٢ / ٧٣.
(٦٠) الإتقان في علوم للسيوطي / النوع الثاني والستون ٢/ ٢٨٨ رقم ٥٢٢٤ وانظر البرهان ١/ ٣٦.

القول الثالث: عدم الاعتراض على المناسبة أو الإثبات.

والحق، أنه لا غرابة في ذلك، فالذي حمل أصحاب هذا الرأي إلى هذا الاتجاه، كما حمل البعض على القول به في حال دون حال، أو إلى إنكار المناسبة بالكلية – كما بينت سابقاً –؛ لأن المنهج الذي سلكه بعض القائلين بالمناسبة لم يكن دائماً يحقق المطلوب من الحصول على العلاقة القوية، فيلجؤون إلى مناسبات تكاد أن تكون ضعيفة هزيلة ربما اضطرتهم إلى شيء من التكلف[٦١] ومثل هذا الأسلوب ربما أدى إلى هذه الاتجاهات المختلفة، ومن هنا كان تركهم للمناسبة خوفاً من الوقوع في الغلطات والشبهات، فكان سكوتهم نتيجة طبيعية لدقته، وتطلبه منهم جهداً شاقاً مضنياً، وذهناً ثاقباً.

القول الرابع: ما ذهب إليه جمهور العلماء من القول بالمناسبة، وأن التماس أوجه الترابط بين الآيات والسور حق، لأنها مبنية على أن ترتيبها توقيفي، صادر عن الوحي، وقد استدلوا على قولهم هذا بحجج واضحة كنت قد بينت بعضاً منها في مطلب سابق، وسأزيد التوضيح بياناً عند تقرير القول الحق إزاء هذا الخلاف إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث
مدار الشبه عند العلماء ومناقشتها

الذي يمعن النظر فيما ذهب إليه كل من الشوكاني وغيره ممن أنكر هذا العلم، يرى أن مدار الاعتراض على المناسبة بين الآيات يقوم:

أولاً: على أن علم المناسبة (كلام بمحض الرأي المنهي عنه) كما جاء (بتكلفات وتعسفات).

وثانياً: على أن ترتيب السور في المصحف هو حسب ترتيب نزوله، وان ترتيب الآيات[٦٢] في القرآن الكريم إنما هو باجتهاد من الصحابة.

---

(٦١) فكرة المناسبات للدكتور أحمد فرحات ص / ٤٠.

(٦٢) الآية: طائفة حروف من القرآن، علم بالتوقيف انقطاعها عن معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي بعدها في آخر القرآن، وعن الكلام الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما. البرهان للزركشي ١ / ٢٦٦، ٢٦٧

أما الادعاء أن المناسبة: (كلام بمحض الرأي المنهي عنه) فغير سديد؛ لأن المجتهد – إذا استعمل المنهج العلمي الصحيح في الاستقصاء والبحث وسلك للاجتهاد منهجه وتزود بوسائله، غير مطالب ما هو الحق في علم الله تعالى، فلو أخطأ في هذا الأمر الخارج عن طاقته لم يكن آثما بخطئه؛ لأنه ليس مخطئاً عن قصد، كما لم يكن عن تقصير، والخطأ المؤاخذ عليه هو ما كان في الإمكان تلافيه(٦٣).

وبناء عليه فلا أرى ما استدل به الشوكاني من تحريم فن المناسبة التي هي (كلام بمحض الرأي المنهي عنه)، فهو دليل لا يصلح في هذا المقام، إلا إذا حمل على الرأي المجرد المذموم شرعاً باتفاق الأمة، كما انه لا يكون جارياً على قوانين اللغة العربية، ولا يكون موافقاً للأدلة الشرعية، ونحو ذلك مما يجعل الاجتهاد قوامه الابتداع، فإعمال الرأي في المناسبة على هذا الوضع تقول على الله بغير علم؛ لأنه في الواقع قلب لحقائق التنزيل رأسا على عقب، وبالتالي يؤدي بالأمة إلى سوء المصير.

- **أما ما قيل:** (فقد جاءوا بتكلفات وتعسفات ...) فأمر غير مسلم به؛ (لما فيه من حيف على المفسرين، فما أكثر المناسبات الذكية التي يقبلها العقل ويطرب لها الذوق، وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه لما بقي لنا علم ولا تفسير الشوكاني نفسه؛ لما فيه من روايات ضعيفة، وموضوعة، يوردها دون أن ينبه عليها)(٦٤).

ثم ما المانع أن يخص الله تعالى عبداً من عباده بنعمة من عنده وفضل، بأن يجعله قادراً على الاستنتاج والاستنباط والربط بين النصوص القرآنية وخصوصاً إذا علمنا أن علم المناسبة يقوم على الاجتهاد واستعمال العقل، وتلك نتيجة منتظره يستلزمها لباب الدين وجوهرة(٦٥)، وهذا مما يدل دلالة واضحة على مقام العقل من

---

(٦٣) انظر بحث (التفسير بالرأي وموقف العلماء من اتخاذه منهجا في التفسير) للدكتور أحمد فريد ابوهزيم في مجلة دراسات –الجامعة الأردنية، المجلد ٢١ (أ) العدد ٤، ١٩٩٤ ص ٣٨٦.

(٦٤) انظر بحث (المناسبات بين الآيات والسور) للدكتور سامي عطا حسن، دراسات، علوم الشريعة والقانون – الجامعة الأردنية، المجلد ٣ العدد ١، ٢٠٠٣م ص٢٣.

(٦٥) انظر المدخل لدراسة التشريع الإسلامي للأستاذ عبد الرحمن الصابوني ص٦١.

الشرع ووظيفته الكبرى، وعلاقته في الكتاب الكريم تفسيراً وتطبيقاً، لذا نرى أن استعمال الرأي كان مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيانه فيما لم يوح إليه فيه، وهذا ما أكده ابن تيمية وغيره من العلماء[٦٦]، وهناك من الآثار ما يدل على نهج الصحابة في الاستنباط، وأنهم كانوا يأخذون بالرأي حيث لا نص في المسألة[٦٧]، فقد أورد الإمام السرخسي في مبسوطه، إذ يقول ما نصه: (روي أن عمر – وهو إمام أهل الرأي – سئل عن مسألة، فقال رجل هذا هوالصواب فقال عمر: والله لا يدري عمر أن هذا هو الصواب أو الخطأ، ولكن لم آل عن الحق)[٦٨]، وهذا مسلك أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٦٩]

وممن تابع الشوكاني في هذا الاتجاه من المعاصرين الدكتور صبحي الصالح رحمه الله تعالى، فهو يرى أن التناسب إن (وقع في أمور متحدة مرتبطة اوائلها بآخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وان وقع على أسباب مختلفة، وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء)[٧٠].

والواقع أن هذا القول وما يشبهه مخالف لما ذهب إليه جمهور العلماء، حتى أنهم قد وهموا رأي من قال: (لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة)[٧١]. ذلك أن تعدد القضايا في السورة الواحدة، لا يمنع من وجود الترابط والتناسب بين الآيات كما قرر العلماء المحققون، منهم: العلامة الشاطبي، وقد طبقه على سور القرآن الكريم[٧٢]. بل إن هذا التنوع في الأغراض هو نفسه الدافع إلى تلمس وجه المناسبة بين الآية والتي قبلها والتي بعدها، بخلاف ما لو كان المعنى واحداً في آيات السورة فلا داعي للبحث عن المناسبة؛ لأنه لا تعقد مناسبة بين الشيء ونفسه.

---

(٦٦) وانظر إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٥٥

(٦٧) انظر انظر البخاري في باب التفسير ص٨/ ٥١٩ من فتح الباري.

(٦٨) المبسوط ج٢ / ص ١٠٧

(٦٩) أعلام الموقعين ج١ / ٦٢

(٧٠) مباحث في علوم للدكتور صبحي الصالح ط١٧، ص١٥٢.

(٧١) البقاعي / نظم الدرر / ج١– ص .١٦، ١٥

(٧٢) انظر الموافقات للشاطبي ج٣/ ص٤١٤– ٤٢٠.

وأمر آخر، هل ثبت عن العرب الذين تحداهم القرآن الكريم على أن يأتوا بأقصر سورة من كتاب الله تعالى – وهم البلغاء الفصحاء وفرسان البيان – أنهم قالوا: إن مختلف القضايا والأغراض لا رابطة تربطها ولا سياق يجمعها، وهم الحريصون على أن يجدوا ثغرة يتسللون منها للوصول إلى مطعن في كتاب الله تعالى؛ ليؤكدوا أنه ليس من عند الله تعالى، وأن الرسول كان كاذبا؟

إن العرب الخلص الذين نزل القرآن بلغتهم وسلك فيه مسالكهم في الكلام. ينظرون إلى أهمية الارتباط نظرة مميزة، ويعدون ذلك معياراً لمحاسن الكلام، وحجة على بلاغة القرآن الكريم، ومما يدل على ذلك ويؤكده: ما جاء على ألسنة بعض البلغاء الذين يتذوقون الفصاحة ومعنى البلاغة: (البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله)[٧٣]، (القوة على البيان مع حسن النظام)[٧٤]، ومما قيل: (البلاغة شد الكلام معانيه وإن قصر وحسن التأليف وإن طال)[٧٥]. وهذا الشاعر عمرو بن لجاء يقول لصاحبه: أنا أشعر منك قال: ولم؟ قال لأني أقول البيت وأخاه، وتقول البيت وابن عمه[٧٦].

وغير ذلك من النقول التي تدل بجملتها على أهمية التناسب عند العرب، حتى إنهم يعدون ذلك دليلاً على بلاغة المتكلم ومقياساً لمحاسن الكلام.

ومما يتعين تأكيده – ونحن في هذا الصدد – أن العرب كانوا يأنفون حشو الكلام وفضوله، وكانوا يستجيدون منه ما كان في غاية الإحكام، ومما يدل على ذلك ما روي عن الثعالبي (البليغ: من يحول الكلام على حسب الأمانيِّ ويخيط الألفاظ على قدود المعاني)[٧٧]. وهذا أبو تمام أراد أن يعطي البحتري

---

(٧٣) التعريف بالقران الكريم للدكتور أحمد حسن فرحات /ص ٣٧، نقلاً عن العمدة لابن رشيق، ج١ / ٢٤٤.
(٧٤) المرجع السابق ذات الصفحة نقلاً عن العمدة ١ / ٢٤٤.
(٧٥) المرجع السابق نقلاً عن العمدة١/ ٢٥٠
(٧٦) المرجع السابق نقلاً عن (البيان والتبيين) للجاحظ ١٢٨/١
(٧٧) المرجع السابق نقلاً عن زهرة الآداب ١/ ١٥٣

معياراً للكلام المستجاد فقال له: (ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد)[٧٨]

- أما استدلالهم على أن ترتيب سور القرآن في المصحف هو حسب ترتيب نزوله، وأن ترتيب الآيات في القرآن الكريم إنما هو باجتهاد من الصحابة، فينقضه ما يأتي:

من المعلوم: أن نزول القرآن الكريم كان على حسب الدواعي والأحداث فلم يكن ترتيبه في النزول كترتيبه الذي هو عليه الآن، وإنما علم هذا الترتيب فيما بعد بتوقيف من جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم، وكون ترتيب الآيات لا يكون إلا بالوحي الإلهي أمر ضروري؛ لأن هذه الترتيب من النظم المعجز، وكانت السورة إذا تم نزولها ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على ترتيبها بادر بإعلام أصحابه بذلك؛ ليقرؤوا على الترتيب الذي ارتضاه الله عز وجل، وأوحى به إليه، وليس من المعقول أن يقرؤوا آيات القرآن الكريم بعد علمهم بذلك أو يبلغوها على خلاف الترتيب الذي جاء به الوحي، فيتضح من هذا أن القرآن الكريم قد تم في هذا العهد حفظه في الصدور على الترتيب المعروف وإن لم يعلم الترتيب في ابتداء الأمر. ومما يدل على أن الصحابة كانوا يعنون بكتابة القرآن الكريم مرتب الآيات كلما استقر منه شيء على ترتيب معين.

اسند البيهقي في كتاب المدخل والدلائل عن زيد بن ثابت قال: كنا حول الرسول نؤلف - زاد في الدلائل نؤلف في الرقاع - قال: وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم[٧٩]. وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٨٠].

---

(٧٨) المرجع السابق نقلا عن (زهر الآداب للقيرواني) ١/ ١٥٢

(٧٩) الإتقان ١/ ١٦٠، ١٦٧، البرهان ١/ ٢٣٧، وانظر مناهل العرفان ١/ ١٧٢.

(٨٠) المستدرك على الصحيحين ج٢ / ٢٤٩ رقم ٢٩٠١، ورقم ٤٢١٧، وممن روى هذا الحديث: صحيح ابن حبان ١/ ٣٢٠ رقم ١١٤، وسنن الترمذي ٥/ ٧٣٤ رقم ٣٩٥٤، ومسند أحمد بن حنبل ٥/ ١٨٤ رقم ٢١٦٤٧.

ومن الواضح: أن الذي جعل البيهقي يستظهر من كلام زيد السابق أن مراده أن الصحابة كانوا يرتبون الآيات في سورها بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانت غير مرتبة؛ لنزولها على حسب الدواعي، هو تعبير زيد بقوله: كنا نؤلف، فان الظاهر المتبادر أن التأليف لا يراد به مطلق الكتابة وإنما يراد به الكتابة على وجه معين مقصود بذاته، يتحقق فيه معنى التأليف الذي هو الترتيب والتنسيق. ومما يدل على أن التأليف معناه الترتيب ما جاء في الإتقان في بحث ترتيب السور أن ربيعة قيل له: لم قدمت البقرة وآل عمران على غيرها من السور الكثيرة التي نزلت قبلهما فقال: (قدمنا وألف على علم ممن ألفه) فسمى التأليف ترتيباً، وعبارة الحاكم تدل – أيضاً – على أنه فهم من قول زيد كنا نؤلف في الرقاع، أنه يريد الكتابة مع الترتيب، لا مطلق الكتابة[٨١].

إذاً معنى التأليف من الرقاع الوارد في حديث زيد: ترتيب السور والآيات وفق إشارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيفه.

(وأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة في أوائلها: فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها)[٨٢]. وقد أشار السيوطي إلى هذا الإجماع الذي نقله الزركشي حول ترتيب الآيات التوقيفي، ثم ذكر في هذا الموضوع عبارة لأبي جعفر بن الزبير في مناسباته يقول فيها: (ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف بين المسلمين)[٨٣]. ويستدل على صحة معتقده بما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال قلت لعثمان ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ البقرة٢٣٤ قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها[٨٤]؟ قال يابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه[٨٥]، فعثمان رضي الله تعالى عنه لا يجرؤ على تغيير آية من مكانها، ولو

---

(٨١) انظر غزلان / عبد الوهاب عبد المجيد / البيان في مباحث من علوم القرآن، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٥م ص١٦٢، ١٦٣.

(٨٢) البرهان ١/٢٥٦.

(٨٣) انظر الإتقان ١/١٦٧.

(٨٤) والمعنى لماذا تثبتها في الكتابة أو تتركها مكتوبة وأنت تعلم بأنها منسوخة؟

(٨٥) صحيح البخاري / ٤/ ١٦٤٦، باب ٤٣ (والذين يتوفون منكم...) رقم الحديث ٤٢٥٦، وقارن بالإتقان ١ /١٦٨

ثبت له أنها منسوخة؛ لأنه يعلم أنه ليس له ولا لغيره دخل في ترتيب آيات بعد أن وقف جبريل رسول الله صلى اله عليه وسلم على ترتيبها، ووقف رسول الله بدوره كتبة الوحي على ذلك.[٨٦] ومما يؤكد ذلك: ما روي في البخاري[٨٧]، كما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قرأ سوراً عديدة بترتيب آياتها في الصلاة أو في خطبة الجمعة بمشهد من الصحابة[٨٨].

وأما ترتيب السور[٨٩] فقد اختلف العلماء فيه اختلافا بينا على عدة آراء:

الرأي الأول: أن ترتيب السور اجتهادي بخلاف ترتيب الآيات، وممن قال به: أبو بكر بن الطيب في أرجح قوليه، والإمام مالك، وحجتهم في هذا أن ترتيب مصاحف بعض الصحابة على خلاف ترتيب مصحف عثمان، كمصحف على بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم.

الرأي الثاني: أن ترتيب السور كان توقيفياً إلا سورتي الأنفال وبراءة وممن قال به البيهقي، ووافقه السيوطي[٩٠] ويشهد لما ذكره البيهقي، ما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عباس – قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموهما في السبع الطوال؟

---

(٨٦) انظر كتاب مباحث في علوم للدكتور صبحي الصالح طبعة دار الملايين / بيروت ط١٦ / ١٩٨ ص٧٠.

(٨٧) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٠ رقم الحديث ٤٧٠٧.

(٨٨) فقد روي الترمذي وغيره من عدة طرق عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا). وانظر – الإتقان ١/١٦٩ رقم ٧٩٦.

(٨٩) المراد بالسورة (قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة واقلها ثلاث آيات) البرهان للزركشي ١/ ٢٦٤

(٩٠) انظر الإتقان في علوم ج١/ ص١٧٧، ١٧٩.

ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: (ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا .. الحديث)[٩١]

الرأي الثالث: أن ترتيب السور كلها توقيفي كترتيب الآيات وعلى هذا يكون من قدم سورة أو أخرها في كتاب المصحف عما ورد عليه مفسداً لنظم القرآن الكريم، فهو آثم.

والذي يطمأن إليه من هذه الآراء: أن القول الراجح المختار: أن تأليف السور على هذا الترتيب الذي نجده اليوم في المصاحف هو – كتأليف الآيات على هذا الترتيب – توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه[٩٢].

أما ما **قيل**: (وترتيب بعضها ليس هو أمراً أوجبه الله تعالى، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم؛ ولهذا كان لكل مصحف ترتيب)[٩٣]، غير مسلم به، لأن اجتهاد الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختياراً شخصيا لم يحاولوا أن يلزموا به أحداً، ولم يدعوا أن مخالفته محرمة، فقد كتبوها لأنفسهم، حتى إذا اجتمعت الأمة على ترتيب عثمان أخذوا به وتركوا مصاحفهم الفردية. ولو أنهم كانوا يعتقدون أن الأمر مفوض إلى اجتهادهم موكول إلى اختيارهم، لاستمسكوا بترتيب مصاحفهم ولم يأخذوا بترتيب عثمان.

وأما ما استدل به البيهقي على صحة معتقده، فينقضه ما يأتي:

بان هذا الحديث قد رد من جهتين، من جهة السند ومن جهة المتن، أما السند فقد ذكر الترمذي – الذي هو أحد من أخرجه – قال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي عن ابن عباس ويزيد هذا مجهول

---

(٩١) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٥، وانظر تفسير ابن جرير ج١ / ص ٣٤ – ٣٥ الطبعة الأميرية.

(٩٢) انظر التعريف بالقرآن/ للأستاذ الزفزاف ص ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

(٩٣) البرهان ١/ ٢٦٢.

الحال)[٩٤]. قال الذهبي: عوف الأعرابي قيل: قيل: كان يتشيع، وقد وثقه جماعة، وجرحه جماعة، وكان داود بن أبي هند يضربه ويقول: ويلك يا قدري، وقال بندار: والله لقد كان عوف قدرياً رافضياً شيطاناً، وأما يزيد فقد اختلفوا فيه، هل هو ابن هرمز أو غيره؟ وقد ذكره البخاري في كتاب الضعفاء باسم يزيد الفارسي، لاشتباهه فيه، وقال النسائي فيه: متروك، وقال الدار قطني وغيره ضعيف، إلى غير ذلك من الأقوال التي قيلت فيه)[٩٥].

وأما من جهة المتن: فإنه ليس نصاً في تحقيق ما ادعوه، فإجابة عثمان بما أجاب لا يؤخذ منها أن ترتيب كل السور توقيفي ما عدا الأنفال وبراءة؛ لأن الترتيب الذي ذكره في إجابته خاص بترتيب الآيات في سورها، ولأن إجابته منصبة على أنه اجتهد في أن يجعل براءة سورة مستقلة أو يجعلها مكملة للأنفال، وإذاً لا يكون في الحديث ما يدل على أن ترتيب السور فيما عدا الأنفال وبراءة مأثور كما ادعوا.[٩٦]

وعلى فرض التسليم بصحته، فيجوز أن يكون عثمان حين إخباره لابن عباس لم يكن عنده شيء مسموع بشأن الترتيب بين السورتين فلا ينافي أنه علم بعد ذلك.[٩٧]

ومما يدل على ترجيح الرأي الدال على أن ترتيب السور كان توقيفيا: ما روي من الأحاديث الصحيحة التي تفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عدداً من السور مرتباً على النحو الذي نراه في المصحف، كقراءته بالمفصل في ركعة، وما دام أنه كان يقرأ بعض السور مرتبا على نحو ما في المصحف، فالظاهر أن ذلك إنما كان لأنه كان مرتباً على هذا النحو حينئذ، إذ يبعد أن بعضه كان مرتباً دون بعض. ومما يزيد هذا تقريراً وتأكيداً: ما رواه

---

(٩٤) المباركفوري، تحفة الاحوذي، ط٢، ج٨، ص ٤٨٠.
(٩٥) انظر الذهبي، ميزان الاعتدال ط١ / ص ٣٠٨، ٣٠٩.
(٩٦) انظر الزفزاف ص ١٠٩، ١١٠.
(٩٧) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو شهبة / دار اللواء، ط١٤٠٧، ٣هـ - ١٩٨٧م، ص ٣٣٣.

احمد من حديث واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل**)[٩٨].

فذكره هذه الأنواع الأربعة التي اشتمل عليها على هذا النحو من الترتيب الذي يتفق وترتيب السور في المصاحف يدل على أنه توقيفي، ومما يؤكد صحة هذا القول:عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم على جبريل كل سنة، ظاهره أنه كان يتبع ترتيباً في سوره، كما يتبع ترتيباً في آيه.

وكذلك عدم ترتيب المسبحات ولاء، ومن ترتيب الحواميم ولاء، والطواسين كذلك، مع ذكر طس (النمل) بين الشعراء والقصص، في حين أن النظر الاجتهادي يجعلها بعد القصص، أو قبل الشعراء، فإقحامها بينهما مع أن (طس) فقط، وليست (طسم) كما هو الشأن في الشعراء والقصص، مما يوحي بأن هذا الترتيب لا مجال للاجتهاد فيه.[٩٩]

وعلى كل، سواء أكان ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصحف توقيفياً أم اجتهادياً فإنه لا يصح الإخلال به، ولا العدول عنه إلى ترتيب آخر، لأنه مجمع عليه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكما هو مقرر لدى العلماء المحققين: الإجماع حجة؛ ولأن الخروج عنه قد يجر إلى فتنة وفساد كبير، وسد باب الفتنة واجب.

وبالإضافة إلى ما تقدم بيانه نورد ما ذكره العلامة عبد الحميد الفراهي حول ترتيب الآيات القرآنية والسور في كتاب الله العزيز، فهو يرى رحمه الله تعالى أن جمع القرآن وترتيبه على نسق واحد بسوره وآياته قد تم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، مستنبطا ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا

---

(٩٨) مسند أحمد ج٤ / ١٠٧ رقم ١٧٠٢٣قال شعيب الارنؤوط: إسناده حسن / مؤسسة قرطبة، ورواه الطيالسي في المسند حديث رقم / ١٠١٢ دار المعرفة، والطبراني في الكبير حديث رقم/ ١٨٦، مكتبة العلوم والحكم ط٢، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم ٢٤١٥، دار الكتب العلمية ط١.

(٩٩) انظر الزفزاف ص ١١٢.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ القيامة١٧ -١٩ يقول رحمه الله تعالى: فلا يخفى عليك أن هذا النص يحتوى على ثلاثة أمور.

الأول: أن القرآن الكريم كان يجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرأ عليه بنسق واحد، فانه لو أنجز هذا الوعد بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره باتباعه وذلك قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾﴾ القيامة ١٨.

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالقراءة حسب القراءة الثانية التي تكون بعد الجمع، وليس للنبي أن يلقى عليه شيء من الوحي، ولا يبلغه الأمة عقلاً، ولما أمره تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ المائدة ٦٧ وقوله تعالى: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ عام ولا يخصه العقل، فكان ما أنزل إلى رسول الله من أمر الرسالة لا بد أن يبلغه الأمة، ونظم القرآن وصورته منه، فكيف يترك تبليغه وهو مما انزل إليه، فلا شك في أن النبي عليه السلام علم الأمة قراءة السورة بنسق آياتها.

الثالث: أنه بعد هذا الجمع والترتيب بين الله تعالى ما شاء بيانه من التعميم والتخصيص والتكميل والتخفيف. وقد علمنا وقوع هذه الأمور الثلاثة، فان النبي كان يقرأ عليهم سورة القرآن كاملة، وهذا لا يكون إلا بعد أن قريء عليهم بنسق خاص فأخذوه منه، وكان يأمرهم بوضع الآيات بمحلها اللائق بها، ثم بعد ذلك إذا نزلت عليه آيات مبينة ضمها للقرآن، فترى هذه المبينات ربما وضعت بجنب ما تبينه، وحيناً في آخر السورة إن كانت متعلقة بعمودها. وترى في أكثر هذه الآيات تصريحاً بأنها بيان من الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ البقرة ١٨٧[١٠٠]، ثم عرض عليه جبريل الأمين عرضة أخيرة بعد تمام القرآن الكريم كما جاء في الخبر الصحيح المتفق عليه، فآتاه جبريل القرآن بتمامه مرتب السور، فكان موقع السور فيه مثل موقع الآيات مما القي عليه، وعلم الأمة كما تلقى من الروح الأمين[١٠١]. يقول الإمام الفراهي: (إن من حرم فهم النظام فقد حرم

---

(١٠٠) للاطلاع على الأمثلة الواردة على هذا البيان انظر كتاب (فاتحة نظام القرآن) للفراهي ص ٤.
(١٠١) تفسير سورة القيامة للفراهي ٢٦ - ٢٨.

حظاً وافراً من معنى الكلام، ويوشك أن يشبه حاله حال من قبله من أهل الكتاب، كما أخبر الله تعالى عنهم (فنسوا حظاً مما ذكروا به) وأخاف أن تكون هذه العداوة والبغضاء التي تراها في المسلمين من هذا النسيان، فلا تهدأ عداوتهم، ولا يرجعون عن اختلافهم، وسبب ذلك: ما ذكرنا في الأمر الأول؛ لأنا إذا اختلفنا في معاني كلامه اختلفت أهواؤنا وصرنا مثل أهل الكتاب، غير أن رجاءهم كان معقوداً بهذا النبي، وهذا القرآن الذي يرفع اختلافهم، وأما نحن: فليس لنا ألا هذا الكتاب المحفوظ)[١٠٢]

وبعد: ففي ضوء هذا التحقيق الموجز هل يصح أن ننكر أمراً حقيقياً على أساس منهار ليس له أساس من الصحة؟[١٠٣]. إن من عدل عن هذا الاتجاه إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً، وان كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه.

القول الحق في هذا الخلاف:

بعد هذا العرض الموجز لأقوال العلماء في المناسبة، وكشف الشبهات التي أوردها بعض المنكرين لوجه المناسبة، ظهرلي أن ما ذهب إليه جمهور العلماء من القول بالمناسبة هو القول السديد، وهو الوجه الذي ترتاح إليه النفس، ويطمئن إليه القلب؛ لان الترابط بين الآيات والسور في كتاب الله تعالى صادر عن الوحي ليس للعقل دخل فيه.

---

(١٠٢) المرجع السابق ص ٣-٤.

(١٠٣) انظر ما قاله الشيخ ولي الدين الملوي: (قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين: أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له).
الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع الثاني والستون ج٢ / ٢٨٨، رقم ٥٢٢٤ وانظر البرهان ١ /٣٧.

هذا وقد اعتمد المحققون في تقرير هذا الرأي على أدلة صحيحة كنت قد بينتها، من هؤلاء: النيسابوري، والبقاعي وابن الزبير والفخر الرازي، والفراهي ومحمد عناية الله سبحاني، وغيرهم كثير، وهم إذ يؤكدونه إنما يضعون منهجاً علمياً سديداً مرتكزه:

- أن الله تعالى تحدى العرب على أن يأتوا بسورة منه، فلو أنهم وجدوا في نظمه مطمعاً لطامع لم يجز أن يتفق منهم ترك المعارضة، ولكان لهم معه شان آخر غير شأنهم. مع أنه نزل على حسب الأحداث المتفرقة واستغرق نزوله ثلاثا وعشرين سنة في موطنين مختلفين، هما: مكة والمدينة.

وقد اختلفت الموضوعات التي عولجت في كل منهما عن الأخرى، ومع ذلك تجده يتصف بجودة السبك، وإحكام السرد، وفي ذلك دلالة على إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما عبر عنه البلغاء في أقوالهم، إذ لو كان مرتباً مبوباً كما ذكر من أن ترتيبه في النزول كترتيبه في المصحف لكان خالياً من أعظم مزاياه على غيره من الكتب شكلاً وموضوعاً.[١٠٤] وللرافعي[١٠٥] وغيره من العلماء المعاصرين[١٠٦] في هذا الصدد كلام طيب، كنت قد ذكرت بعضه في مطلب سابق، وأزيد البيان بياناً:

يقول الشيخ الزرقاني[١٠٧] (من حكم نزول القرآن مفرقا الإرشاد الى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد صلى الله عليه وسلم، ولا كلام مخلوق سواه، وبيان ذلك: أن تقرأه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذا بعضه برقاب

---

(١٠٤) انظر ثلاث رسائل في إعجاز الكريم للرماني والخطابي والجرجاني ص ٥٤، وانظر من قضايا القرآن الكريم (نظمه وجمعه وترتيبه) للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ٩.

(١٠٥) إعجاز القرآن الكريم للرافعي ص ٢٠١.

(١٠٦) انظر من روائع القرآن الكريم للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١١٢ والإعجاز في نظم الكريم للأستاذ محمد السيد شيخون ص ٦٨.

(١٠٧) هو الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بضم الزاي وتشديدها من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر، ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، ولد في مطلع القرن الرابع الهجري وتوفي ١٣٦٧هـ

بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقاً لأوله، وبدا أوله مواتياً لآخره... ولا ريب أن هذا الانفصال الزماني وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي يستلزمان في مجرى العادة التفكك والانحلال، ولا يدعان مجالاً للارتباط والاتصال بين نجوم هذا الكلام، أما فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضا: نزل مفرقاً منجماً، ولكنه تم مترابطاً محكماً وتفرقت نجومه تفرق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب، ولم يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عاماً، ولكن تكامل انسجامه بداية وختاماً.[١٠٨] وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود١، فأي دليل أوضح من هذا الدليل على أن المناسبات بين الآيات والسور في كتاب الله تعالى حقيقة واقعية؟

ويحسن هنا أن أذكر ما قيل في تفسير هذه الآية – بإيجاز – لنقف على ما اتصف به هذا الكتاب العزيز من ترتيب رائع بين آياته وسوره بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر، [١٠٩]. وفي ذلك تأكيد لما قررناه من أن المتأمل لكلام الله تعالى يرى أنه آخذ بعضه برقاب بعض، مع احتوائه على ضروب من المعاني.، وفي ذلك إعجاز فوق إعجاز. قوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ﴾ أي نظمت نظماً محكماً رصيناً بحيث لا يتطرق إليه فساد وخلل، لا من جهة اللفظ بأن يكون فيه ما يخل بفصاحته وبلاغته، ولا من جهة المعنى بأن يكون فيه تناقض أو مخالفة للواقع والحكمة، ومعنى نظم الآيات: تأليف كلماتها، بحيث تكون مرتبة المعاني متناسقة الدلالات، لا ضم بعضها إلى بعض كيفما اتفق، وعلى هذا الوجه يكون مستعاراً من أحكام البناء وإتقانه، حيث شبه النظم الرصين بالإحكام بجامع مطلق الإتقان في كل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وإن شئت فقل: شبهت الآيات الكريمة بالبناء المحكم بجامع مطلق الأمن من الاختلال والانتقاض

---

(١٠٨) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (١: ٦١) وانظر: التبيان في علوم القرآن للشيخ محمد علي الصابوني ص ٣٩.

(١٠٩) نظم الدرر ١/ ١٢– ١٤.

في كل على سبيل الاستعارة بالكناية، وسواء أقلنا بهذا أم ذاك فإن هذا الوجه أحسن الوجوه التي فسر بها معنى الإحكام.(١١٠)

والذي ينبغي الإشارة إليه: أن الظاهر يقتضي أن يكون الإسناد إلى الكتاب لتقدمه، فالعدول عنه إلى الآيات يُعدُّ إظهاراً في مقام الإضمار. والسر فيه: أن المراد من إحكام الكتاب أقصى غايات الإحكام، وأنه شمل آيات الكتاب آية آية دفعاً لما يتوهم عند إسناده إلى الكتاب، فإنه يجوز أن يكون المراد حينئذ الإسناد ولو في الجملة.(١١١)

قوله ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾. بمعنى نوعت تنويعاً عظيماً يعجز عنه البلغاء، ويحفز الهمم على الإقبال عليها، وذلك باشتمالها على التوحيد والأحكام، والمواعظ والأخبار، والأمثال وغير ذلك من المهمات التي يحتاج إليها العباد في المعاش؛ لأنه نزل لهداية الناس، فليس في أسلوبه على نسق واحد ما يؤدي إلى السآمة والملل، وإنما هو مفصل تفصيل العقد بالفرائد بين اللآلىء، فان العقد إذا نظم بجل الفريدة، وهي الكبيرة بين اللآلىء الصغيرة أو بين ما يخالفها في اللون يحث الناظرين على الإقبال عليه، ويحفز هممهم على الحصول عليه. وعلى هذا الوجه يكون استعارة بالكناية حيث شبهت الآيات من حيث تنوعها بالعقد من حيث تنظيمه وتفصيله بجامع مطلق التنويع والتفصيل في كل، وحذف ورمز إليه شيء من لوازمه، وإثبات التفصيل تخييل أو استعارة تمثيلية، حيث شبه حال الآيات من حيث تنوعها بالأنواع المتقدمة بحال العقد المنظوم على الوجه المتقدم بجامع الهيئة المنتزعة من كل المشتملة على مطلق والتنويع والتفصيل في كل.(١١٢)

---

(١١٠) للّاطلاع على الوجوه التي قيلت في معنى الإحكام، انظر تفسير الالوسي ج١١ / ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، وانظر إلى مذكرة في تفسير سورة هود للشيخ الفاضل عبد الحميد الشاذلي رحمه الله تعالى الأستاذ في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

(١١١) انظر: مذكرة في تفسير سورة هود للشيخ الفاضل عبد الحميد الشاذلي رحمه الله تعالى الأستاذ في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

(١١٢) انظر تفسير هذه الآية من روح المعاني للالوسي ج ١١ / ص ٢٠٣ – ٢٠٥، وانظر تفسير أبي السعود ج٤ / ١٨٢، وانظر تفسير البيضاوي ٤ / ٢١٩.

وخلاصة القول في تفسير هذه الآية: إن القرآن الكريم نظمت آياته نظماً رصيناً محكماً كالبناء المحكم المرصف، ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد. وكذلك سوره فهي منظمة في سلك واحد كالدرر في القلائد، حتى لو قدم ما أخر وأخر ما قدم لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام بل ربما يعود إلى قريب من الهذيان. تنظر إلى السورة الواحدة منه حيث الموضوعات شتى والظروف متفاوتة، فترى نظام التأليف البياني ما هو جدير بالإعجاب، حتى أننا لن نجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما نعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى (ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن الكريم قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت نجوماً... أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول..)[١١٣].

حقاً إن للقرآن الكريم طابعه الخاص، وأسلوبه المميز؛ بما حواه من خصائص جمة سمت به عن كل أنواع الكلام، وما ذاك إلا لغريب تأليفه، وما اتخذه في رصف حروفه وكلماته وجمله وآياته من نظام له سمت وحده، وطابع خاص به خرج فيه عن هيئة كل نظم تعاطاه الناس، ولذا فإن من حرم فهم هذا النظام العجيب فقد حرم حظاً وافراً من الكلام، لما انفرد به هذا النظام من مزايا تتجلى لمن يؤمن بنظام الآيات ورباط المعاني في كتاب الله تعالى، والذين يزعمون خلاف ذلك فقد أخطأوا في زعمهم، ولم ينصفوا كلام الله تعالى.

يقول الدكتور محمد عناية الله: فإن من حرم فهم هذا النظام العجيب فقد حرم حظاً وافراً من الكلام لما انفرد به هذا النظام من مزايا تتجلى لمن يؤمن بنظام الآيات ورباط المعاني في كتاب الله تعالى، والذين يزعمون خلاف ذلك فقد أخطأوا في زعمهم ولم ينصفوا كلام الله تعالى، من هذه المزايا كما وضحها الدكتور محمد عناية الله:

---

(١١٣) انظر النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم) للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم – الكويت – ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م الطبعة الثانية، ١٥٤، ١٥٥.

يرشد إلى فحوى الكلام وملابساته ومن يغفل عن نظام الآيات فقد يتعذر عليه العثور على ما ترمي إليه تلك الآيات.

النظام: هو الدليل إلى صحة التأويل إذا اشتبهت الوجوه وكثرت الاحتمالات.

النظام: مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه، كما أنه سر من أسرار إعجازه فانه الذي جعل القرآن بحراً لا يسبر غوره، ولا ينفذ كنزه، النظام يجلي لنا الأمور في أكمل صورها، ويكشف عن قدرها وأهميتها.

وهو الذي يفتح العيون على وجوه البلاغة في القرآن الكريم، لكن الذي لا يهتم به يتعذر عليه أن يتذوق بلاغة القرآن أو يدرك ميزته التي أعجزت فرسان الكلام، مراعاة النظام تفتح على الإنسان ما تقر به عينه، ويستنير به قلبه، وتورثه برد اليقين الذي لا يتزعزع.

مراعاة النظام تمكن من فهم أسباب النزول، والذي يغفل عنه يتحير في فهمها ويضعها في غير موضعها، ثم يتحير في تأويل الآيات وتفسيرها.

رعاية النظام والبحث عن رباط الآيات هي المحك الناجح لنقد الروايات التفسيرية، فيها تتميز الضعاف من الصحاح، ويتميز السقيم من السليم.

رعاية النظام في دراسة القرآن تساعد على الوصول إلى أصول الصحاح في القرآن الكريم، فان الأحاديث الصحاح مأخوذة منه، كما نص عليه فريق من جلة العلماء.

الوقوف على نظام الآيات يضفي على الباحث شعوراً بالسعادة الغامرة واللذة التي لا يصل إليها أبداً من لا يهتم بنظامها؛ فإن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بزيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البرهان، ولا يعرف ذلك إلا لمن ذاقه[١١٤].

---

(١١٤) انظر إمعان النظر في نظام الآيات والسور للدكتور محمد عناية الله سبحاني / ص ١٠٥ – ١٠٦.

هذا وقد أورد أمثلة على كل مزية من المميزات – لا يسمح لنا الموقف بعرضها – إذا أمعن القارئ الكريم النظر فيها يستطيع أن يستخرج ما أودع فيها من نفائس الدرر[١١٥].

وبعد: فالذي يتعين تقريره إزاء هذا الخلاف بين العلماء إضافة إلى ما بينته آنفاً أمور:

أولا: هناك معالم تحث الباحث حثاً على التدبر إلى أن تشرق له الآيات والسور بمعانيها كفلق الصبح، وتتجلى له وشائجها كأنه يراها رأي العين، من هذه المعالم التي تقود الباحث إلى النظم:

(أ) أننا كثيراً ما نرى في القرآن أن يأخذ في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى غيره، ثم ينجر منه إلى معنى آخر، ومنه إلى آخر، ثم يرجع إلى ما بدأ منه وليس هذا الانجرار من معنى إلى معنى إلا لرابطة تربطهما، ولحكمة بلاغية تجمع بينهما)[١١٦]

(ب) **الاتحاد في اللون:** فان الله تعالى جعل هذا القرآن كمائدة كبيرة حافلة بأصناف الطعام، وكل طعام له طعم خاص ولون خاص وبعضه أشهى من بعض، فإذا قرأت القرآن، وطوفت في أرجائه وتنسمت في أجوائه، وتفكهت بأثماره، وجدت فيه أنواعاً من السور لكل نوع منها طعم خاص، ولون خاص وأريج خاص.[١١٧]

(ج) **تكرار كلمات خاصة في السور:**

فإن من دأب القرآن أن يراعي الدقة في اختيار الكلمات فإذا وقع اختياره على كلمة خاصة لمكان معين ورددها مرة بعد أخرى فهذا يدل على أن لها صلة خاصة أو مناسبة خاصة بذلك المكان، وهذا الشيء يساعدنا على فهم طبيعة السورة وجوها ويساعدنا على التماس المناسبة بين آياتها[١١٨]

---

(١١٥) للإطلاع عليها انظر المرجع السابق، من ص ١٠٧ – ١٦٩.
(١١٦) المرجع السابق ص ٢٩٣
(١١٧) المرجع السابق ص ٣٠١
(١١٨) المرجع السابق ص ٣٠٢.

(د) **دلالة الروابط:**

فإن الروابط تشير إلى كون الآية مرتبطة بما قبلها وتحث الباحث حثاً على التماس وجوه المناسبة فيما بينها[١١٩].

(هـ) **ومن هذه المعالم:**

التشابه بين نظم آية وسورة، فإننا نجد بعض السور جاءت على النظم الذي يوجد في آية واحدة، ونجد بعض السور جاءت على نظم أجزاء آية واحدة، ونجد طائفة من السور جاءت على نظم سورة واحدة، ونجد طائفة من السور كذلك جاءت على نظم جزء من سورة واحدة)[١٢٠].

يقول الفراهي: (ترى في آية واحدة ترتيباً وأسلوباً، مثلما ترى في سورة وكذلك في القصار تراه في الكبار)[١٢١]

ويقول رحمه الله تعالى: الآية الواحدة تجمع أموراً وربما تتضمن جملاً، ولا يسوغ لمسلم أن يظن بالآية الواحدة أنها غير منظمة، والتأمل اليسير يكشف عن نظامها، فهذا يصير مثالاً وأنموذجاً لأمور تجمعها جملة من الآيات، ثم هذا يصير مثالا لما يذكر في جملات طويلة من السورة، ثم تجد نظم سورة مع سور أخرى مشابهاً لنظم آيات جملة واحدة، ولنظم كلمات آية واحدة، فمن أقر بوجود النظم في آية واحدة ولا بد، فلا بد أن يقر بما يماثله في عدة آيات أو عدة سور).[١٢٢]

تلك بعض المعالم البارزة في طريق تتبع النظام، فلو وضعها الباحث في اعتباره ثم أمعن النظر في آيات القرآن وسوره يمكن أن يمهد له الطريق مع توعره، ثم يتسنى له الوصول إلى كنوز النظام ونفائس دره[١٢٣]

---

(١١٩) المرجع السابق ص ٣٠٤

(١٢٠) المرجع السابق ص ٣١٢.

(١٢١) أساليب القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، ص ٤٩

(١٢٢) دلائل النظام للإمام عبد الحميد الفراهي ص ٢٨.

(١٢٣) إمعان النظر في نظام الآيات والسور ص ٣١٧.

ثانيا: ومن الأمور التي يجب تقريرها: أن المناسبة من حيث وجودها في القرآن الكريم أمر حتمي واجب لهذا الإعجاز، وهذا القدر لا نجد فيه معارضة من أي أحد من العلماء، فوجود المناسبة في القرآن الكريم بجميع أنواعها وألوانها، لا يخالف فيه أحد من العلماء، أما كتابة هذه المناسبات في كتب التفسير وظهورها فيها فهذا أمر آخر، لأنها تكون مقبولة إذا توافرت فيها شروط القبول، بأن تكون متفقة مع المعايير اللغوية والشرعية، وأن تكون منسجمة مع سياق النص وسباقه ولحاقه، ولا يكون فيها تكلف وتعسف، وتكون مردودة إذا لم تحقق فيها هذه الشروط كلاً أو بعضاً.

وأغلب الظن أن الخلاف بين العلماء في المناسبة خلاف لفظي، وليس حقيقياً؛ لان كل فريق من المختلفين لو اطلع على وجهة نظر الفريق الآخر لوافقه عليها، فيحمل رأي الفريق الذي يقول بوجوب المناسبة على وجود المناسبة، بغض النظر عن معرفتها وظهورها، لان الشريعة الإسلامية لا تكلفنا بوجوب معرفتها؛ لأنها أمر يرجع إلى العقل والعقول متفاوتة.

ويحمل رأي القائلين بقبول المناسبة وجوازها على المناسبات المذكورة في كتب التفسير وهي مستوفية للشروط التي ذكرناها.

ويحمل رأي القائلين بمنع المناسبة وعدم جوازها: على المناسبات المذكورة في كتب التفسير، ولكنها لم تتوافر فيها الشروط التي ذكرناها كلا أو بعضا بأن تكون مشتملة على التعسف ولتكلف مثلاً.

المبحث الثالث
نماذج تطبيقية على المناسبات
في كتاب الله تعالى

تحدثنا في سابق قولنا عن أهمية علم المناسبة، والآثار التي تترتب على معرفته، وبينا ما اتصف به القرآن الكريم من نظم عجيب، وأسلوب فريد مخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها الذي جاء عليه، وكما يقول صاحب كتاب الشفاء (ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت به عقولهم، وتدلهت دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر)[١٢٤].

تآخي بين ألفاظه في تناسب وتناسق القول، بحيث تكون كل كلمة في موضعها الذي وضعت لا تنفير من أختها ولا يمكن تغييرها، وكأن الكلمات في الأسلوب والنظم نجوم السماء وأبراجها لا تزايل في أماكنها ولا تخرج عن مواطنها. وبينا كذلك مزايا علم المناسبة التي يتميز بها من يتأمل القرآن الكريم ويتدبره، وذكرنا بعض المعالم التي من شأنها أن تكون نبراسا يضيء الطريق لمن كان يريد أن يصل إلى حقيقة علم المناسبة وتنقض وهم عدم وجوده. ولما كان الموقف لا يسمح لنا تفصيل وعرض نماذج حتى يتبين لنا مدى مناسبة هذه المعالم للآيات القرآنية ولجو السورة وطبيعتها من تنوع أهدافها ودلالاتها فسنكتفي بذكر بعض الملامح البارزة[١٢٥] من خلال هذا المبحث، تأكيدا لما ذهبنا إليه من تحقيق المناسبات بين الآيات والسور، لا في آية دون أخرى، ولا في سورة دون سورة، والحقيقة أن هذه الأمثلة عن المناسبات هي إجمال يشير ولا يحيط، ويوجز ولا يفصل.

---

(١٢٤) الشفاء ج١ / ١٧٦.

(١٢٥) للاطلاع على هذه النماذج انظر: إمعان النظر في نظام الآي والسور من ص ٢٧٢ – ٣١٧.

أولا: المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة:

أصدق وصف للآية: (أنها بناء متكامل يأخذ بعضه بحجز بعض، فلا يمكن أن يؤخر ما قدم، أو يقدم ما أخر، أو يذكر ما حذف، أو يحذف ما ذكر، أو يوجز فيما أطيل فيه، أو يطنب فيما أوجز فيه، لكل مقام ولكل كلمة مع صاحبتها موقف، وكأنما لم يخلق الله لأداء تلك الدلالات غير هذه القوالب على اتساع اللغة بألفاظها وأشكالها)[١٢٦].

والتناسب بين أجزاء الآية الواحدة كما يكون في اللفظ يكون بالمعنى.

أما من حيث اللفظ فتأمل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ هود٤٤، أنظر كيف قال: وقيل، ولم يقل (وقال الله)، نجد في ذلك إشعاراً بأن الأمر قد صدر لها ممن لا يسعها التريث في إجابة أمره، وفي هذا ما لا ينكر من التهويل لهذا الأمر والإعظام لشأنه. ثم انظر كيف صدر الأمر بالنداء للأرض أولا، ثم بالسماء ثانياً، ذلك لأن الأرض كانت قد اكتظت بالمياه، والسماء إنما تمدها تباعاً فوق ما تخرجه هي من جوفها كما يشير إليه قوله تعالى فيما تقدم (وفار التنور)، فالحكمة تقتضي أن تؤمر الأرض أولاً، بابتلاع مائها الذي غمرها مما تخرج من جوفها، ومما تمده به السماء. ثم تنادى السماء بالكف عما تمد به الأرض من الماء

وانظر إلى كلمة (ابلعي) التي لا يقوم مقامها غيرها في أداء المعنى المطلوب، إذ يراد منها سرعة إخفاء الماء، ولا يقوم غير هذا اللفظ في دقة تصويره سرعة إخفاء الماء، ولم يقتصر الكلام في أمر الأرض، فإن السماء إذا لم تؤمر بالكف – أيضاً – لما تأتى المطلوب، وهو ظهور اليبس وزوال الغرق. ثم انظر إلى تصويره امتثال الأرض والسماء وسرعة استجابتهما لأمره يقول:

---

(١٢٦) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم للدكتور / فتحي أحمد عامر، ص ١٤١.

(وغيض الماء) ولو قال: وغاض الماء لما تحققت الإشارة إلى ما ذكر. ثم انظر إلى قوله: (وقضي الأمر) من حيث لم يقل واستقر من في السفينة على الأرض لإحيائها، تجد أن في ذلك إيماء إلى أن قضاء الأمر ينتظم في سلكه أمران: إهلاك من أراد الله إهلاكهم، وحصول المراد من الأرض بإعدادها لتعمير من في السفينة إياها. وبعد أن انتهى من إبراز نفاذ أمره في قوم نوح المغضوب عليهم ختم الموضوع بما يدل على استقرار الحال فقال: (واستوت على الجودي)، ثم أراد إشعار الناس بما في هذا العمل من حكمة فقال: (وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

فانظر هداك الله إلى تساوق المعاني وتلاقي الألفاظ المنتقاة، وتآخيها في تكوين المعنى المؤثر .. وكيف أخذت الجمل بعضها برقاب بعض، حتى لو رفعت لفظاً أو غيرت موقع جملة لانتثر عقده المنظوم(١٢٧).

حقاً لقد استطاع البلغاء أن يدركوا عدة علاقات بهذه الآية الكريمة، وهذه العلاقات هي سر العظمة في هذه الآية، حيث تكمن من ورائها دلالات خفية(١٢٨) وغير ذلك من الأمثلة التي تناسب اللفظ من حيث المعنى(١٢٩).

ومن المناسبات بين أجزاء الآية: مراعاة اللفظ الذي ختمت به الآية، وهو ما يعرف بالفاصلة، وهي ما انتهت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

---

(١٢٧) الزفزاف ص ١٢٥، ١٢٦.

(١٢٨) انظر إلى دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وتفسيره لهذه الآية؛ لتقف على حقيقة كيف استطاع هذا العالم أن يدرك العلاقات بين أجزاء هذه الآية حتى سحرنا بأسلوبه، وجذبنا بحديثه، وأغرانا بمنهجه، فهو يقول: (انك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وان الفضل ناتج ما بينها وحصل من مجموعها.....) ص ٣٥ – ٤٦

(١٢٩) انظر التعريف بالقران والحديث للأستاذ محمد الزفزاف ص ١٢٧ نقلا عن المثل السائر لضياء الدين الموصلي ص ٦٢، وانظر / إعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل حسن عباس ص ١٧١، ١٧٢.

البقرة٢١٦، فقوله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) متصلة بما قبلها اتصالاً وثيقاً، ولا تصلح لهذه الآية غير الذي ختمت به، فالله تعالى يخاطب المؤمنين، وقد كتب عليهم الجهاد والقتال، ويبين أن أمر المستقبل لا يدركونه هم، فربما يكرهون شيئاً يكون فيه خيرهم، وربما يحبون شيئاً تكون فيه نهايته شراً لهم ووبالاً عليهم، إن الله وحده هو الذي يعلم ذلك.

وفي السورة نفسها تذكر الآيات بعض أحكام الطلاق، وتنهي أولياء النساء أن يمنعوهن من الرجوع إلى أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف، فبين لهم أن ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ البقرة٢٣٢، فأي فاصلة تصلح لهذه الآية الكريمة، وهؤلاء الإخوة والآباء يريدون أن يمنعوا أخواتهم أو بناتهم من الرجوع إلى أزواجهن، وإنما يريدون ذلك أنفة واستجابة لدواعي الحمية، أو انتقاما من أولئك الأزواج، من غير تفكير في النتائج والعواقب التي يمكن أن تنتج عن مثل هذا التصرف الخاطئ، ما نظن أن هناك فاصلة ترجع أولئك الأولياء إلى رشدهم وتخوفهم من عواقب تصرفاتهم أجدى وأولى مما ختمت به الآية[١٣٠] الكريمة. فالصلة وثيقة بين الفواصل والمعاني.

قال الباقلاني[١٣١]: (وأما الفواصل: فهي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة)[١٣٢]. ويقصد من قوله: (إفهام المعاني) أنها تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية تزيدها وضوحاً وبياناً، فهي كتلخيص لمعاني الآية تبرز المعنى المراد وتقرره).[١٣٣]

---

(١٣٠) المرجع السابق ص ٢٢٧.

(١٣١) هو محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، كان من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام، له شيوخ كثيرون، منهم: أبو بكر الابهري، وأبو بكر القطيعي، وأبو محمد ماسي، وأبو عبد الله الشيرازي، وآخرون، له مؤلفات عدة منها: اعجازالقران الكريم، والتبصرة، ودقائق الحقائق والتمهيد في أصول الفقه. توفي سنة ٤٠٣هـ. (انظر البداية والنهاية، وفيات الأعيان).

(١٣٢) إعجاز القرآن للباقلاني، ص ٤٠٩.

(١٣٣) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى للأستاذ / عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ١١٣.

ثانياً: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة:

البحث عن المناسبة في هذا المطلب يقتضي الحديث عن جانبين اثنين:

أولاهما: ارتباط الآية بالآية: وثانيهما: الوحدة الموضوعية للسورة.

أما الجانب الأول: فاقول وبالله التوفيق (ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه، وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم، أولا.

القسم الأول: أن تكون معطوفة، ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ سبأ٢. وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة، وعادة العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه؛ ليعلم عظم الآمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك.

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط، فتحتاج إلى شرح[١٣٤] فمنها: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ البقرة١٨٩ فقد يقال أي رابط بين أحكام الأهلة، وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه:

أحدها: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها: معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً.

---

(١٣٤) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠ وانظر الإتقان في علوم القرآن، ١/ ٢٣٦.

الثاني: أنه من باب الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج، وكان هذا من أفعالهم في الحج، ففي الحديث عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره[١٣٥] وفي رواية: كان ناس من أهل الجاهلية إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها، ودخلوها من ظهورها من الحيطان[١٣٦]، فقيل لهم: ليس البر بتحرجكم من دخول الباب، لكن البر من اتقى ما حرم الله، وكان من حقهم السؤال عن هذا، وتركهم السؤال عن الأهلة.

الثالث: أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم كمثل من يترك باباً ويدخل من ظهر البيت، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكن البر من اتقى ذلك، ثم قال الله سبحانه ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ البقرة١٨٩ أي باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا. **ومنها** قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ الإسراء الآيتان ١، ٢، فإنه قد يقال: أي رابط بين الإسراء وقوله تعالى: وآتينا موسى الكتاب ووجه اتصالها بما قبلها؟ إن التقدير أطلعناه على الغيب عياناً، وأخبرناه بوقائع من سلف بياناً، لتقوم أخباره على معجزته برهاناً. أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته؛ لتقصها ذكراً، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين؛ لتكون قصتهما آية أخرى. أو أنه أسرى بمحمد اليريه، كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يترقب، ثم ذكر بعده ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ الإسراء٣؛ ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم قديماً، حيث نجاهم من الغرق، إذ لو لم يُنَجِّ أباهم من أبناء نوح لما وجدوا، وأخبرهم أن نوحاً كان عبداً شكوراً وهم ذريته، والولد سر أبيه، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم، لأنه يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا.

---

(١٣٥) صحيح البخاري ج٤ / ١٦٠ ورقم الحديث. ٤٢٤٢.
(١٣٦) انظر سنن النسائي / ٦/ ٢٩٧ رقم ١١٠٢٥

وتأمل كيف أثنى عليه، وكيف تليق صفته بالفاصلة، ويتم النظم بها مع خروجها مخرج المرور عن الكلام الأول ليذكره ومدحه بشكره، وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه إياهم من الطوفان بما حملهم عليه ونجاهم منه حين أهلك من عداهم، وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم، فيما سلط عليهم من قتلهم، ثم عاد عليهم بالإحسان والإفضال؛ كي يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم، وعلى نوح الذي ولدهم، وهم ذريته فلما صاروا إلى جهالتهم وتمردوا عاد عليهم التعذيب.

ثم ذكر تعالى في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة بكلمات قليلة العدد، كثيرة الفوائد، لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير، والكلام الطويل، مع ما اشتمل عليه من التدريج العجيب والموعظة العظيمة بقوله ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ الإسراء٧ ولم ينقطع بذلك نظام الكلام إلى أن خرج الى قول: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾ الإسراء٨، يعنى إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو، ثم خرج خروجاً آخر إلى حكمة القرآن، لأنه الآية الكبرى، وعلى هذا فقس الانتقال من مقام إلى مقام حتى ينقطع الكلام، وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى بالتخلص، وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى وقال: ليس في القرآن الكريم منه شيء؛ لما فيه من التكلف، وليس كما قال. ومن أحسن أمثلته: قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥﴾ النور٣٥.

فإن فيها خمس تخلصات، وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستمد منه، ثم التخلص منه إلى ذكر الشجرة، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء.

ومن بديع التخلص أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام فقال في آخرها ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف١٥٥ - ١٥٧)[١٣٧] ومن أمثلة التخلص الدالة على ما للقرآن من قوى الربط والانتقال من معنى اليآخر انتقالاً مناسباً: ما ذكره ابن أبي الإصبع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ آل عمران٣٣ فقد ذكر سبحانه اصطفاء آدم توطئة يخلص بها ليذكر ولده نوح، وذكر اصطفاء نوح توطئة يتخلص بها إلى ذكر ولده إبراهيم، وذكر اصطفاء آل إبراهيم بعد ذكر آل نوح توطئة ليتخلص بذكرهم إلى آل عمران من ولد إبراهيم، وتخلص بذكر آل عمران إلى ذكر امرأة عمران ليسوق قصة حملها بمريم وكفالة زكريا لها، وذكر ولده يحيي وقصة حمل مريم بالمسيح وما كان في ذلك من الآيات الباهرات، وغير ما آتاه تعالى في هذه الآية من المعجزات، فوقع في هذه الآية من التخلصات البارعة التي أتت على أحسن ترتيب وأبين تهذيب ما لا يقع في شيء من الكلام؛ حيث ذكر سبحانه الآباء من الأعلى إلى الأدنى)[١٣٨]

القسم الثاني: ألا تكون الآية الثانية معطوفة على الأولى فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهى قرائن معنوية مؤذنة بالربط، والأول مزج لفظي، وهذا مزج معنوي تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني، وله أسباب:

أحدها: التنظير، فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ الأنفال٥ عقب قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ فإن الله سبحانه أمر رسوله أن

---

(١٣٧) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤

(١٣٨) بديع القرآن ص ١٧٠.

يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون، وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه، فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل، فأنزل الله هذه الآية، وأنفذ أمره بها، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين، ووصف المؤمنين ثم قال: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ الأنفال٥، يريد أن كراهيتهم لما فعلته من الغنائم ككراهتهم للخروج معك. وقيل: معناه أولئك هم المؤمنون حقاً، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ الذاريات٢٣، وقيل: غير ذلك من المعاني(١٣٩).

الثاني: المضادة ومن أمثلته: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ البقرة٦ فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم، وأن من شأنه: كيت وكيت، وأنه لا يهدى القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت، فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلما أكمله عقب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء(١٤٠).

الثالث: الاستطراد كقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ الأعراف٢٦. قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات، وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى(١٤١). وجعل القاضي أبو بكر في كتاب

---

(١٣٩) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٧، ٤٨.
(١٤٠) المرجع السابق ج١ / ٤٩.
(١٤١) تفسير الزمخشري ج٢ / ٩٣ (الجامع)

إعجاز القرآن الكريم من الاستطراد قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ النحل: ٤٨ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ النحل٤٩. وقال كأن المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص.

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع، كقوله تعالى في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾ ص٤٩، فإن هذا نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ﴾ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة، تقول: أشير عليك بكذا، ثم تقول بعده هذا الذي عندي والأمر إليك وقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾ كما يقول المصنف: هذا باب يشرع في باب آخر، ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾﴾[١٤٢]

وأما الجانب الآخر الذي يتعلق بالمناسبة بين الآيات (الوحدة الموضوعية للسورة):

لا ريب أن (المناسبات بين كل آية وآية في السورة الكريمة تظهر الصلة القوية المحكمة التي تربط آيات كل مرحلة لإنجاز الموضوع الذي عزمت السورة الكريمة على تحقيقه)[١٤٣]، من منطلق أن لكل سورة وحدة موضوعية ويقصد بها (أن يكون العمل الفني متماسكاً إلى أبعد درجات التماسك، بحيث أن لكل جزئية تفضي إلى التي تليها، ولا يمكن حذف جزئية واحدة، لأن العمل الفني يستغني عنها، أو إضافة جزئية أخرى يفتقر إليها)[١٤٤].

---

(١٤٢) البرهان في علوم القرآن ص ٤٩، ٥٠. والآية من سورة ص ٥٥.

(١٤٣) النبأ العظيم ص ١٦٠.

(١٤٤) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام للدكتور حسن باجودة / ص ٣٥.

وسور كتاب الله تعالى (تؤدي غرضها الأساس، وموضوعها الشامل في عدة مراحل، وينبغي أن تتعانق كل مرحلة مع أختها، ويرتبط كل جزء مع نظيره في غاية الانسجام والإحكام، وتؤدي هذه بمجموعتها في النهاية الموضوع الكلي والمقصود الأعظم)[١٤٥]. حتى إذا عمدنا إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى وما أكثرها في كتاب الله تعالى، وانتقلنا بفكرنا معها مرحلة مرحلة ثم أرجعنا البصر فيها لنتأمل كيف بدأت، وكيف ختمت وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت، وكيف تلاقت أركانها وتعانقت، وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ومهد أولاها لأخراها، لعرفنا بأي وضع بنيناها، وعلى أي عين صنع نظامها، حتى صارت كما وصفها الله تعالى المتكلم بها: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الزمر٢٨)[١٤٦].

والحق، أن معرفة مقاصد السورة وأغراضها يعين في معرفة مناسبات الآيات، فتنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد عن المطلوب. ومن الخطأ: أن نبحث في الصلات الجزئية بين الآيات بعيداً عن الغرض الذي وضعت له السورة في جملتها، فالسورة مهما تعددت قضاياها في كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويترامى بجملته فالغرض واحد)[١٤٧].

ومن الأمثلة الدالة على الوحدة الموضوعية: سورة يوسف المكية، فقد احتوت على قصة يوسف عليه السلام من بدايتها لنهايتها اجتمعت حلقاتها كلها في سورة واحدة في وحدة موضوعية متماسكة.

لقد تضمنت هذه القصة الكثير من المقاصد الكريمة، والغايات النبيلة، جاءت في ثناياها، أذكر بعضاً منها:

احتواؤها ضروباً شتى من عناصر الحياة البشرية، وأنواع العواطف الطيبة

---

(١٤٥) منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقران الكريم، د: زياد الدغامين، ص ١٣٦.
(١٤٦) انظر الصورة الأدبية في القرآن، ص ١٧٤.
(١٤٧) انظر أسرار ترتيب القرآن، مقدمة المحقق ص ٤٥.

والخبيثة، من تحاسد الإخوة، ونية الإجرام، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده إلى عاطفة الأب الشفوق وحذره، ومن الصبر على المصائب، والوقوع تحت تأثير إغراء الغريزة والشهوة، إلى الانتصار في الصراع بين قوة الغريزة وردع الضمير، والثبات على الإيمان والشكر على النعم.

كما أن من غاياتها تسلية الرسول بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من الهم والأذى، وصبر يعقوب ويوسف على البلوى، وكيف تكون لهم العاقبة(١٤٨). وغيرها من الأهداف الجليلة.

أما فلسفة القصة العميقة: فتتجلى في الإيمان العميق بالله تعالى الذي ينصر الحق على الباطل ولو طال الأمد، والثقة بهذا الانتصار، فليس من شك أن الإيمان بالله له أكبر الأثر في النفس الإنسانية، فهو يهبها الطمأنينة لتصمد أمام ما يصادفها من حوادث وأهوال.

ومن فلسفتها: مواجهة أزمات الحياة المختلفة بصبر وثبات وإيمان، والتفاؤل حتى في الشدة وترقب الفرج من الله تعالى في الأزمات، لقد كانت حياة يوسف عليه السلام سلسلة من المتاعب التي انتهت بالفوز والنجاح والسعادة والمكانة المرموقة والحياة الطيبة(١٤٩)

حقا إن قصة يوسف عليه السلام تعلم من أراد النجاح ووضع هدفاً نصب عينيه يريد تحقيقه فانه سيحققه لا محالة، وهو واقع بإذن الله تعالى إذا استعان بالصبر والأمل فلم ييأس ولجأ إلى الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ يوسف٩٠ فالعبرة بحسن العواقب والوفاء والأمانة والصدق والتوبة،

---

(١٤٨) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور الدار التونسية، ط١، ١٩٧٦م ج٢ ص ١٩٨ – ١٩٩

(١٤٩) محمد مبارك، دراسة أدبية لنصوص القرآن، دار الفكر، ط٤ ١، ١٩٧٣ م ص ٨٣– ٨٦ وانظر سورة يوسف دراسة تحليلية، د أحمد نوفل، دار الفرقان، ط ٢، ١٩٩٩ م ص ٦٠١ – ٦٢١

ومن هنا فلا عجب (أن تكون هذه السورة بما احتوته من قصة ذلك النبي يوسف عليه السلام – ما ذكر وما لم يذكر – مما يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في مكة المكرمة في هذه الفترة بالذات تسلية وتسرية وتطميناً – كذلك – وتثبيتاً للمستضعفين[١٥٠]

والحقيقة أن هناك علماء أجلاء قد أبرزوا الوحدة الموضوعية في سور من القرآن. من هؤلاء العلامة محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم، فقد شرع يدلل فيه على إعجاز القرآن الكريم البياني في سورة من سور القرآن الكريم، وهي سورة البقرة إحدى الزهراوين بما لا يدع مجالا للشك أن هذا فوق مستوى قدر البشر، وأنه من عند خالق القوى والقدر.

ولو أنه تناوله كله على هذا المنوال – كما صرح الشيخ أبو شهبة – لكان ذخيرة من الذخائر التي تنتفع بها الأجيال المتعاقبة، فعسى أن يقيض له الله تعالى من يقوم بإتمام هذه الدراسة القرآنية على هذا المنهج المستقيم البديع[١٥١]، وغيره من العلماء[١٥٢].

ثالثا: مناسبة السورة لما قبلها

بينا آنفاً أن كل من أمعن النظر في آيات سور القرآن الكريم يدرك أنها جاءت متعانقة متآخية يأخذ بعضها بحجز بعض، فيها من علو المباني، وسمو المعاني ما يبهر الألباب ويأخذ بمجامع القلوب، وكذلك السور، فالصلات بينها قوية ومحكمة، تتعانق أشد التماسك والتعانق، كأنما هي سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار على حين أنها مؤلفة من حلقات، كل حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء، وهذا من وجوه البلاغة في كتاب الله تعالى، حيث التناسب بين السورة والسورة كما هو التناسب بين الآية والآية، فأنت ما دمت في

---

(١٥٠) انظرفي ظلال القرآن، سيد قطب ج٤، ص ١٩٥٠، دار الشروق، ٢٠٠٣ م وانظر– دراسات في التفسير الموضوعي للقران: د: زاهر الألمعي، ص١٤٢

(١٥١) المدخل لدراسة الكريم / تأليف الأستاذ الكبير محمد محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى/ دار اللواء، الرياض، ط ٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ص٤٤.

(١٥٢) انظر الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام د: حسن محمد باجودة، ص ٣٥.

القرآن حتى تفرغ منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال والإتقان، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف، وأغراض الكلام، كأنما تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها[١٥٣].

والحقيقة أن علاقة السورة بالتي قبلها، منها: ما يكون ارتباطاً لفظياً، بأن تكون هناك ألفاظ مشتركة بين السورتين بشكل عام، أو بين السورة وفاتحة التي تليها، ومنها: ما يكون موضوعياً بأن يكون الارتباط بين موضوعات السورتين، وهذا يحتاج إلى إعمال الفكر لاكتشافه، وقد يجتمع هذين الوجهين والذي نلحظ (أن كل سورة هي تفصيل لإجمال، وإطناب لإيجاز ورد في السورة التي قبلها، وتمهيد لما بعدها، وهذه قاعدة عامة في القرآن الكريم لم تشذ عنها آية من الآيات، ولا سورة من السور)[١٥٤] ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما ذكره السيوطي من أن سورة الأنعام فصلت ما أجمل في سورة المائدة، قال رحمه الله (ثم ظهر لي بحمد الله وجه آخر، وهو: أنه لما ذكر في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ المائدة ٨٧، ثم ذكر بعده ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ المائدة١٠٣. فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله تعالى، افتراء على الله، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئاً مما أحله الله تعالى، فيشابهوا بذلك الكفار في صنيعهم، وكان ذلك على سبيل الإيجاز. ثم ساق سورة الأنعام؛ لبيان ما حرمه الكفار في صنيعهم فأتى به على الوجه الأبين، والنمط الأكمل، ثم جادلهم فيه وأقام الدلائل على بطلانه، وعارضهم وناقضهم، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة، فكانت هذه السورة شرحاً لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإجمال وتفصيلاً وبسطاً وإتماماً وإطناباً وافتتحت بذكر الخلق والملك، لأن الخالق والمالك؛ هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحة

---

(١٥٣) انظر المعجزة والإعجاز للأستاذ سعد الدين السيد ص ١١١، وانظر إعجاز القرآن للرافعي ص ٢٤١.

(١٥٤) المعجزة والإعجاز نقلاً عن (من أسرار ترتيب القرآن) للسيوطي ص ٧٨.

ومنعاً وتحريماً وتحليلاً، فيجب أن لا يتعدى عليه بالتصرف في ملكه، وكذلك فإن القضية التي طرحتها سورة الأنعام فصلتها سورة الأعراف.[١٥٥]

ومن الأمثلة: ارتباط سورة الملك بالسورة التي قبلها وهي سورة التحريم، وقد بينها العلامة الألوسي في تفسيره، يقول: (ووجه مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ضرب مثلاً للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيين عظيمين ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالسعادة وأن أكثر قومهما كفار افتتح هذه بما يدل على إحاطته عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه)[١٥٦].

ومن أمثلة الترابط بين موضوعات السورتين: سورة الكوثر التي هي أقصر سور القرآن الكريم، فقد جاءت مرتبطة بما قبلها ارتباطا وثيقا، وبيان ذلك:

يقول البقاعي: لما كانت سورة الماعون – بإفصاحها – ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت – بإفهامها – داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت سورة الدين قد ختمت بأبخل البخلاء وأدنى الخلائق المنع، تنفيراً من البخل ومما جره من التكذيب، فابتدئت الكوثر بأجود الجود العطاء لأشرف الخلائق ترغيبا فيه وندبا إليه، فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهيت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون.

فقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر الذي أوتي كل ما ذكره الله تعالى في الكتاب من نعيم أهل الدنيا وتمكن من تمكن منهم، وهذا أحد موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها ويتبين لنا بهذا وجه تعقيبها بها والله أعلم.

ولما أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما للملك من العلو وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضي للترغيب والإقبال لما يفيد من

---

(١٥٥) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص ٥١.
(١٥٦) روح المعاني للالوسي ج٢٩ / ٢.

التحبيب، أي أنفق له الكوثر من المال على المحاويج، خلافاً لما يدعهم ويمنعهم الماعون؛ لأن النحر أفضل نفقات العرب[١٥٧]

وقال الإمام الرازي مبيناً مناسبة هذه السورة لما قبلها: (اعلم أن هذه السورة على اختصارها فيها لطائف:

إحداها: أن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة: أولها: البخل وهو المراد من قوله: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

الثاني: ترك الصلاة، وهو المراد من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

والثالث: المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

والرابع: المنع من الزكاة وهو المراد من قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة، فذكر في مقابلة البخل قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ أي إنا أعطيناك الكثير، فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قوله: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم على الصلاة، وذكر في مقابلة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قوله: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل)[١٥٨].

---

(١٥٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ج١٠ص ٢٢. وانظر التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٦، ص ٤٠٣.

(١٥٨) الرازي / فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (الوحدة الموضوعية، سورة الطلاق، حيث الترابط والتناسق بين معانيها وأجزائها، ط الأولى، ١٩٩٠ م، ج ٣٢ / ص ١١٠. وانظر: أبو حيان: محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م، ج٨، ٥١٩، وتناسق الدرر للسيوطي ص ١٨٣، وانظر البرهان في علوم ج١/ ٣٩.

وفي البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير كلام جيد في مناسبة السورة لما قبلها، قال رحمه الله تعالى: (لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتغرر بالمال والجاه وطلب الدنيا، اتبع ذلك بما منح نبيه مما هو خير مما يجمعون، وهو الكوثر وهو الخير الكثير... وقد اضمحل في جانب نعمة الكوثر، الذي أوتي كل ما ذكره الله تعالى في كتابه من نعيم أهل الدنيا، وتمكن من تمكن منهم، وهذا أحد موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا، ولا ذكر أحد من المتنعمين بها، لانقضاء هذا الغرض وتمامه، وسورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك)[١٥٩].

حقاً لقد جاءت هذه السورة الفذة واسطة العقد في نظامها، فإن كل نعيم ذكر من فاتحة الكتاب حتى سورة الكوثر قد ختم بهذه النعمة السابغة، وكل ما جاء بعدها إنما هي نعمة مرتبطة بها ومبينة لمضامينها، وهذا ما عبر عنه صاحب كتاب إمعان النظر، قال: (ويبدو بعد التأمل في نظام هذه السورة كان أكمل وختم بهذه السورة العظيمة، وأما السور التالية لها فهي تكملة لها وتبيين لمحتوياتها)[١٦٠].

تلك بعض النماذج، وهي من الكثرة بحيث لا تكاد تخفى على أي ناظر في القرآن الكريم، وتلك الظاهرة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن هناك مناسبة خاصة وقرابة ماسة بين سورتين جاءتا على هذا النمط.

رابعا: مناسبة افتتاح السورة لموضوعها: ليس من شك أن فواتح السور لموضوعاتها وثيقة ومثال ذلك: سورة [محمد] والتي تسمى بسورة [القتال] فالمناسبة بين فاتحتها وموضوعها واضحة جلية وبيان ذلك:

---

(١٥٩) انظر بحث الدكتور شحادة العمري / نقلا عن / البرهان في ترتيب سور القرآن، لابن الزبير / أبو جعفر ت: محمد شعباني، ١٩٩٠م، منشورات وزارة الأوقاف بالمغرب، ص ٣٧٩ – ٣٨٠.

(١٦٠) سبحاني / محمد عناية الله، الدكتور / إمعان النظر في تناسب الآيات السور، دار عمار، عمان، ط١ ن ٢٠٠٣م، ص ١٣٩ – ١٤٠ نقلا عن تفسير سورة الكوثر للفراهي ص ٣.

أن الفاتحة إعلان الحرب العلني على أعداء الله تعالى وأعداء رسوله من الكفار الذين حاربوا الإسلام دون تردد وتأجيل، نظراً إلى أن قضية الوقت وعدم التأجيل في إصدار الأمر والقرار في مواجهة العدو أمر مهم في المعركة. وأما موضوعها فهو القتال، وغاية هذا الجهاد أعلاء كلمة الله تعالى.[١٦١]

كذلك الاتحاد في الفواتح والأسماء:

فسورة البقرة وسورة آل عمران – مثلاً – يجمعهما اسم واحد وفاتحة واحدة فكلتاهما سميتا بـ(الم)، واستهلتاب (الم) ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة٢ ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ آل عمران٢، فكلما نتلو هاتين السورتين معاً يبدو لنا وكأنهما توأمان؛ لشدة تقاربهما في النظم والموضوع، فالأولى سورة الإيمان، والأخرى سورة الإسلام[١٦٢]. يقول الفراهي:

سورة البقرة: سورة الإيمان المطلوب، وهو الإيمان ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فجمعت دلائلها، وسورة آل عمران: سورة الإسلام، وهو طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فهي أشبه بالسابقة، لما أن الإسلام إنما هو الجانب الظاهر من الإيمان[١٦٣].

خامسا: مناسبة فاتحة السورة وخاتمتها:

فمثلا سورة يوسف، يقول الدكتور محمد البهي: تعيد السورة في ختامها ما ابتدأت به في أولها فقد بدأت القرآن مؤكدة أنه تنزيل من الله تعالى وأنه جلي وواضح فيما يذكره: آية (١) ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ

---

(١٦١) انظر/ في مناسبات سور القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، إعداد محمد يعقوب ذو الكفل بن الحاج يوسف، بإشراف الدكتور أحمد نوفل، كانون الأول ١٩٩٢م.

(١٦٢) إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله سبحاني، دار عمار ط ١١ ص ٢٩٨

(١٦٣) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي ص ٩٣

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ وآية ١١١ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم زادت في الختام تكفله الهداية والرحمة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[١٦٤]. يقول سيد قطب في التصوير (وأما قصة يوسف: فكان فيها توافق في الختام من نوع خاص، يتفق مع القصة في الابتداء، فقد بدأت القصة برؤيا يوسف، فختمت بتحقق هذه الرؤيا، وسجود إخوته لأبويه، ولم يخط خطوة وراء هذا كما فعلت التوراة، لأن الفرض الديني قد تحقق وتحقق معه للقصة أجمل ختام، وهو ختام واقعي، وختام ديني، وختام فني في آن)[١٦٥]

سادسا: مناسبة اسم السورة لموضوعها:

سورة القيامة: يقول البقاعي: واسمها القيامة واضح في ذلك جداً، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية مع ما أشارت إليه لا النافية للقسم أو المؤكدة، مع أنها في الوضوح في حد لا يحتاج إلى الإقسام عليه؛ لأنه لا يوجد أحد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض من غير حساب حكيم فكيف بأحكم الحاكمين[١٦٦]

ويقول ابن عاشور: عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير سورة القيامة، لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور، وهي مكية باتفاق،واشتملت على إثبات البعث والتذكير بيوم القيامة، وذكر أشراطه وإثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء، وتكريم أهل السعادة، والتذكير بالموت، وأنه أول مراحل الآخرة، والزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة.[١٦٧] ليغير ذلك من أنواع المناسبات والعلاقات الكثيرة من العسير عدها وإحصاءها.

---

(١٦٤) البهي، د محمد، تفسير سورة يوسف، القاهرة، مكتبة وهبة، ص ٥٩ – ٦٠

(١٦٥) سيد قطب، التصوير الفني، دار الشروق ط ٤، ١٩٧٨م ص ١٤٤.

(١٦٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية، ط١١ ج٨، ص ٢٤١

(١٦٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ٢٩، ٣٧٧.

وهكذا فقد تبين لنا – فيما لا مجال للشك فيه – أن موضوع علم المناسبة حقيقة واضحة جلية شاخصة، ولم يعد بإمكان أحد أن يقول: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة)[١٦٨].

إن نظم القرآن بسوره وآياته عبارة عن رباط الأمور لمقاصد جليلة، وغايات نبيلة، وكلما تجلى النظم فلا بد وأن تكون معه ظلل من النور والحكمة وأما التكلف والتمحل الذي يطمس النور ويعري الكلام من بهاء الحكمة فليس من النظم في شيء، والواقع أن الذين تعاطوا هذا الموضوع كما بين الدكتور محمد سبحاني: لم يتعاطوه بجد، وليس معنى ذلك أننا ننكر تلك القلة القليلة الموفقة من عرفوا لهذا الموضوع حقه، وتعاطوه بكل دقة وجد، مثل الإمام عبد الحميد الفراهي، فقد أحسن وأجاد وبرز في هذا المضمار، وحاز شأو السبق واستولى على غاية الأمد، ولكن مع ذلك فالأغلبية من الناس ممن خاضوا هذا البحر لم يحسنوا سباحته، وجاءوا في الموضوع بتكلفات وتعسفات يصير الحليم فيها حيران، ويوضح أسباب ذلك أنهم: زعموا أن علم المناسبات موكولا إلى قريحة الإنسان وطبيعته، فهو يلتمس تلك المناسبات ويأخذها كيفما خطرت بباله غير متقيد بأصول التأويل وقواعده، فهم لم يعتمدوا في أخذهم واستنباطهم على أسس وقواعد ثابتة، فكانوا أقرب حالا إلى إنسان يسير في طريق وعر شاق فيه مرتفعات ومنعطفات ومنحدرات ولا يرافقه دليل ولا خبير فالنتيجة معلومة، حيرة في حيرة، وعثرة بعد عثرة، وعلى ضوء ذلك فان الموقف يفرض علينا أن نضع أسساً ومعايير يرجع إليها الباحث عند اللزوم حتى يعلم النظم الصحيح الراجح من النظم المتكلف المرجوح.[١٦٩]

---

(١٦٨) فتح القدير ١/٧٢.

(١٦٩) انظر إمعان النظر في نظام الآيات والسور للدكتور محمد عناية الله سبحاني، ص:٣٢١ – ٣٢٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد هذا العرض أخلص إلى النتائج الآتية:

١ – اشتمال القرآن الكريم على النظم الفريد الذي لم يسبق إليه، والأسلوب المميز بما حواه من خصائص سمت به عن كل أنواع الكلام، حقيقة أقرها أكابر العلماء المحققين قديماً وحديثاً، تجلى ذلك في مؤلفاتهم التي بينوا من خلالها جمال التنسيق والصلات الوثيقة والروابط المحكمة التي اتصف بها كتاب الله تعالى في سوره وآياته، وهو ما يعرف بـ (علم المناسبة)

٢ – الزعم أن السور القرآنية لا تشكل وحدة مترابطة، ولا صلة بين الآيات فهي مفككة غير محكمة زعم ينقصه الدليل، نشأ عن جهل في فهم اللغة العربية، وبلاغة القرآن الكريم.

٣ – علم المناسبة علم جدير بالاهتمام والاعتناء لمن أراد تدبر القرآن الكريم، ضمن المنهجية العلمية السديدة، وضوابط التفسير الصحيحة التي تفتح على الباحث ما تقر به عينه ويستنير به قلبه، ويضفي عليه شعوراً بالسعادة الغامرة.

٤ – معرفة علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم في سوره وآياته طريق قوي لفهم النصوص القرآنية، كما تفتح العيون على اتساق المعاني بين الآيات والسور وفي ذلك دليل على أعجاز القرآن الكريم، ، كما أنه مفتاح لكثير من كنوز القرآن ومزاياه. وغير ذلك من المقاصد النبيلة.

٥ – وجود المناسبات في السور والوحدة الموضوعية حقيقة قائمة، ولكنها تختلف ظهوراً وخفاء، قوة وضعفا بحسب قدرة العقول على التأويل والتدبر وقوة الدليل وضعفه.

٦ – تتضافر أدلة النقل الصحيحة وأدلة العقل على أن ترتيب سور القرآن

الكريم وآياته، أي بوحي من الله تعالى، وهذا ما يجليه (علم المناسبة) حيث التناسق والتناسب بين الايات والسور.

٧ – النماذج التطبيقية على أوجه المناسبات في كتاب الله تعالى كثيرة، منها:

المناسبة بين أجزاء الآية، المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها، ومناسبة فاتحة السورة لخاتمتها، إلى غير ذلك من الأوجه.التي تكشف على محور السور وأهدافها. حيث إن لكل سورة وحدة موضوعية.

وأخيراً أدعو الله تعاليأن يفتح لي بهذا البحث وغيره مجال خدمة الإسلام والمسلمين، كما وارجوه جل جلاله أن يتقبل عملي هذا، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يعفو عني يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ – **القرآن الكريم.**

٢ – أساليب البيان للإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند.

٣ – أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ت: عبد القادر عطا الله، دار الاعتصام ط١، ١٩٧٦م

٤ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي / دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٥ – الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ – الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م –دار ابن كثير، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا. وانظر طبعة دار الفكر /ط١/ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م

٦ – إعجاز القرآن، الإعجاز في دراسة السابقين عبد الكريم الخطيب– دار الفكر العربي – ١٩٧٤

٧ – الإعجاز في نظم القرآن، لمحمد السيد شيخون، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١ ن ١٩٧٨ م

٨ – إعجاز القرآن للدكتور فضل حسن عباس، عمان، دار الفرقان، ١٩٩١م.

٩ – إعجاز القرآن للباقلاني / بيروت، عالم الكتب / ط١، ستة ١٩٨٣م.

١٠– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، بدون تاريخ

١١– الإكسير في علم التفسير للطوفي، تحقيق د/عبد القادر حسين / مكتبة الآداب – القاهرة.

١٢– إمعان النظر في نظام الآيات والسور للدكتور محمد عناية الله سبحاني– **عمان – دار عمار، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م**

١٣- بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، مصر مكتبة نهضة مصر، ط١، سنة ١٩٥٧

١٤- براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور للأستاذ محمد بدوي عبد الجليل، بيروت، المكتب الإسلامي ن ط٢ ن ١٩٨٤ م

١٥- البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - سوريا، الطبعة الأولى - ١٣٧٦هـ وانظر طبعة دار المعرفة - بيروت - ط١ / ١٣٩١هـ.

١٦- البيان في علوم القرآن / للأستاذ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان / مطبعة دار التأليف/ القاهرة / ١٩٦٥ م

١٧- تاج العروس من جواهر القاموس / للسيد محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع -بنغازي - الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ وانظر طبعة دار الهداية.

١٨- التبيان في علوم القرآن لمحمد على الصابوني / دمشق، مكتبة الغزالي، ط٢، ١٩٨١م.

١٩- التعريف بالقرآن والحديث للأستاذ محمد الزفزاف.مكتبة الفلاح ت الكويت، ط٤، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م

٢٠- تفسير البحر المحيط / للإمام محمد بن يوسف الغرناطي - ت٧٥٤ ط: دار الفكر / بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٨م

٢١- تفسير البغوي المسمى / معالم التنزيل للإمام ابن مسعود الفراء البغوي ت٥١٦هـ تحقيق خالد العك ومروان سوار - الطبة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م دار المعرفة - بيروت.

٢٢- تفسير التحرير والتنوير /للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ١٢٨٤هـ طبعة الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤هـ

٢٣- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم اليمزايا القرآن الكريم / للإمام أبي السعود محمد العمادي ت٩٥١هـ دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م

٢٤- تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للإمام محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ طدار المعرفة / بيروت / ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م وانظر طبعة دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٩٨٨م. وانظر طبعة دار الفكر- بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥- تفسير الفتوحات الإلهية لسليمان الجمل، المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.

٢٦- .تفسير في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، بيروت ن دار احياء التراث العربي، ط٧ ن ١٩٧١م.

٢٧- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - القاهرة. وانظر طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ.

٢٨- تفسير القرطبي المسمى /الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت٦٧١هـ الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٢٩- التفسير القيم للإمام ابن القيم تحقيق فواز أحمد زمرلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣٠- التفسير الكبير للعلامة محمد بن عمر الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ الطبعة الأولى.

٣١- تناسق الدرر في تناسب السور، ت: عبد الله الدرويش، سوريا، دار الكتاب العربي، ط١ ١٩٨٣م.

٣٢- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان / للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ت ١١٣٧هـ تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني طبعة دار القلم - دمشق - الطبة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٣- تفسير سورة القيامة، للإمام عبد الحميد الفراهي مطبع فيض عام، الهند.

٣٤- تهذيب اللغة / لمحمد بن احمد الأزهري تحقيق علي حسن هلالي /

الدار المصرية وهناك نسخة محققة من الأستاذ /إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى – ١٩٦٧م.

٣٥- التفسير والمفسرون لأستاذنا محمد حسين الذهبي – مكتبة وهبة – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٥ م

٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

٣٧- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني حققها وعلق عليها محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، مصر دار المعارف، ط٢، ١٩٦٨.

٣٨- جواهر البيان في تناسب سور القرآن / أبو الفضل عبد الله الغماري، مصر، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ.

٣٩- دقائق التفسير / لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد السيد الجلنيد – مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ.

٤٠- دلائل النظام للإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند.

٤١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي – الطبعة الأولى – دار الفكر – بيروت ١٩٨٣م.

٤٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للعلامة شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله شكري الالوسي ت ١٢٧٠هـ طبعة دار الفكر – بيروت. وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٤٣- شرح النووي على صحيح مسلم: للإمام يحي بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها

٤٤- شعب الإيمان للبيهقي – تأليف أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي، تحقيق / أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٥- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ل / أبو الفضل عياض، شرح علي القاري، ١٣٠٩ هـ

٤٦- صحيح البخاري المسمى (الجامع الصحيح) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت٢٥٦هـ طبعة مصطفى ألبابي الحلبي بمصر - ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م

٤٧- صحيح مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون ذكر سنة النشر.

٤٨- الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، بيروت، دار الفكر، ط٤ ن سنة ١٩٧٨.

٤٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للعلامة الشوكاني اليماني ت١٢٥٠ / طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت وانظر طبعة دار المعرفة- بيروت.

٥٠- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم / للأستاذ فتحي احمد عامر، الإسكندرية، دار المعارف ن ١٩٩١م.

٥١- الفوائد المشوقة اليعلوم القرآن لابن القيم الجوزية، بيروت، مكتبة الهلال، بدون.

٥٢- في مناسبات سور القرآن للأستاذ ذو الكفل بن الحاج يوسف، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.

٥٣- فاتحة تفسير نظام القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، مطبعة إصلاح، الهند.

٥٤- القاموس المحيط / لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيرروزآبادي ت ٨١٧هـ طبعة الحلبي وشركاه - القاهرة. وانظر النسخة المحققة من الأستاذ / يوسف محمد البقاعي / دار الفكر - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة الزمخشري ت٥٣٨هـ - دار المعرفة للنشر والطباعة -

بيروت.وانظر نسخة تحقيق محمد مرسي عامر / الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - مكتبة عبد الرحمن محمد - القاهرة.

٥٦- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، وكذلك دار بيروت، بيروت، ١٣٧٥م وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥٧- مباحث في علوم القرآن / للدكتور صبحي الصالح - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السادسة عشرة ١٩٨٥م.

٥٨- المثل السائر لابن الأثير، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مصر، مكتبة نهضة مصر، ط: ١ سنة ١٩٦٢

٥٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / للعلامة ابن عطية الأندلسي ت ٤٦٠هـ تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله / طبعة دار الفكر العربي - القاهرة.

٦٠- مختار الصحاح للإمام / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - دار الفكر العربي - بيروت

٦١- مدخل اليالقرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز، دار القلم، ط٣ ن سنة ١٩٨١م.

٦٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل / لعبد الله بن أحمد ألنسفي / المكتبة الأموية - بيروت

٦٣- معجزات المصطفى عليه السلام، لخير الدين وائلي، بيروت، مكتبة الخافقين، ط١، ١٩٧٨ م.

٦٤- المعجزة الكبرى للإمام محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي / القاهرة - طبعة جديدة / ١٩٩٨م

٦٥- المعجزة والاعجازفي القرآن الكريم، لسعد الدين السيد صالح، القاهرة، دار المعرف ن ط٢، ١٩٩٣م.

٦٦- معجم مقاييس اللغة لابن فارس / تحقيق عبد السلام محمد هارون - طبع دار الفكر - بيروت

٦٧- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق / محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى.

٦٨- مقدمة ابن خلدون طبعة مصطفى محمد - مصر

٦٩- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية / ت: الدكتور عدنان زرزور.

٧٠- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني الطبعة الثانية - دار إحياء الكتب - عيسى الحلبي وشركاه ١٣٧٢هـ

٧١- من بلاغة القرآن ل / احمد احمد بدوي، مصر، مكتبة نهضة مصر ن ط٣ ن بدون تاريخ

٧٢- من قضايا القرآن (نظمه، جمعه، ترتيبه) للأستاذ عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط١،

٧٣- الموافقات في أصول الشريعة / للعلامة لشاطبي /إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ت٧٩٠هـ ضبط وتفصيل الأستاذ محمد عبد الله دراز بدون تاريخ.

٧٤- النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز، بدون.

٧٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥ م.

٧٦- وجوه من الإعجاز القرآني لمصطفى الدباغ، الزرقاء، مكتبة المنار، ط٢ ن ١٩٨٥م.

٧٧- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف للأستاذ / حسن محمد باجودة، جدة، الناشر، تهامة، ط٢، سنة ١٩٨٣.

٧٨- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لمحمد محمود الحجازي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٠م.

٧٩- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية لرفعت فوزي عبد المطلب، القاهرة، دار السلام ن ط١ سنة ١٩٨٦.